الأسس الفلسفية للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية

(أبو نصر الفارابي نموذجًا)

د. محمد محمد عمر دنش(*)

المُلخَّص:

تنطوي الفلسفة الإسلامية على معالم نظرية تعليمية متكاملة، تشكَّلت لدى أعلامها انطلاقًا من تصوراتهم الفلسفية للوجود والإنسان والمعرفة؛ إذ لم تكن مجرَّد فلسفة تأمليَّة، بل قدَّمتْ مشروعًا حضاريًّا شاملًا، يسعى إلى تهذيب الإنسان وإصلاح المجتمع.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الأسس الفلسفية التي قامت عليها النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية؛ متخذًا من فلسفة أبي نصر الفارابي نموذجًا تطبيقيًّا؛ مفترضًا: أنَّ التصور التعليمي يشكِّل ركنًا أصيلًا في الفكر الفلسفي الإسلامي، ويتأسس فيه على مبادئ فلسفية دقيقة؛ حيث تتكامل فيه الأبعاد الوجودية والأخلاقية والمعرفية والاجتماعية في بناء الإنسان الكامل والمجتمع الفاضل.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي- النصي، والمنهج المقارن؛ وذلك للكشف عن مرتكزات النظرية التعليمية وتجلياتها في فلسفة الفارابي، من خلال تصوراته لطبيعة النفس الإنسانية ومراتبها، وتصنيفه للعلوم، ومنهجه في التعليم، مع مقارنتها بجهود غيره من الفلاسفة المسلمين؛ بما يُؤكد أصالة هذه النظرية ومحوريتها في الفلسفة الإسلامية، وما تنطوي عليه من مبادئ فكرية وتربوية تُسهم في إثراء الفكر التربوي المعاصر وتطوير مناهجه.

الكلمات المفتاحية:

النظرية التعليمية، الفلسفة الإسلامية، الأسس الفلسفية، التربية، الفارابي.

(*) مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية- كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

The Philosophical Foundations of Educational Theory in Islamic Philosophy

(Abū Naṣr al-Fārābī as a Model)

Abstract:

Islamic philosophy encompasses a comprehensive educational theory that emerged from its philosophers' integrated conceptions of existence, human nature, and knowledge. It is not merely a speculative discipline but a civilizational project aimed at refining the individual and reforming society. Accordingly, this study seeks to uncover the philosophical foundations of educational theory in Islamic philosophy, taking *Abū Naṣr al-Fārābī* as an applied model. It proceeds from the hypothesis that educational thought constitutes an essential component of the Islamic philosophical framework, wherein ontological, ethical, epistemological, and social dimensions converge to shape the ideal human being and the virtuous society.

Employing an analytical–textual comparative method, the research explores the educational principles embodied in al-Fārābī's philosophy—his conception of the human soul and its faculties, his classification of the sciences, and his pedagogical methodology—while comparing them with the contributions of other Muslim philosophers. The findings highlight the originality and centrality of this educational theory within Islamic philosophy and underscore its enduring pedagogical and intellectual value for enriching and renewing contemporary educational thought.

Keywords: Educational Theory; Islamic Philosophy; Philosophical Foundations; Education; al-Fārābī.





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ مجال البحث في التعليم والتربية يمثل ركنًا أصيلًا في تطور الفكر الإنساني ومسار الحضارة البشرية، اعتنى به الفلاسفة والمفكرون قديمًا تمام العناية، وأعملوا فيه عقلهم تحديدًا لمناهجه ووسائله وتمهيد الطريق لبلوغ غايته؛ لما له من أثر مباشر في بناء الإنسان وإصلاح المجتمع، وهو أيضًا موضوع العصر الحديث لعامة المفكرين والمصلحين(١)، وبخاصة في وقتنا الراهن؛ ففي ظل التحولات المعرفية والتكنولوجية المعاصرة، بات من الضروري إعادة النظر في الأصول الفلسفية للتعليم، واستلهام ما قدَّمه التراث الفكري الإنساني من رؤى قادرة على إضاءة الواقع التربوي الحديث وتوجيهه نحو غاياته المنشودة(٢).

وفي هذا السياق الفكري العام للبحث التعليمي التربوي، تتجلَّى معالم الفلسفة الإسلامية، بما انطوت عليه من رؤية شمولية للإنسان والوجود والمعرفة؛ إذ لم تكن مجرد فلسفة تأملية منعزلة عن المجتمع والواقع، بل كانت مشروعًا حضاريًّا متكاملًا يتجاوز التنظير العقلي إلى تأسيس مبادئ عملية في التربية والتهذيب الأخلاقي والإصلاح الاجتماعي.

---

(١) يؤكد الشيخ مصطفى عبد الرازق هذه الفكرة بقوله: "موضوع التعلم ومناهجه موضوع جليل الشأن في كل العصور، ولكل الأمم، وقد عني به الباحثون من العلماء والفلاسفة، فألفوا فيه الرسائل، وكتبوا فيه الكتب منذ عهد بعيد، ولا يزال موضوع اهتمام المفكرين والمصلحين؛ ولا غرو فإن العلم أساس كل إصلاح، وتاج كل نهضة، والتعلم ليس إلا السبيل إلى نشر العلم، وتثقيف العقول به، وتهذيب النفوس". من تقديم الشيخ مصطفى عبد الرازق لكتاب: التعليم في رأي القابسي، د. أحمد فؤاد الأهواني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص٣.

(٢) انظر: أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية)، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ودار السلام، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٩ وما بعدها. ونظريات التعلُّم: دراسة مقارنة، مجموعة مؤلفين، ترجمة: د. علي حسين حجاج، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج١، ١٩٨٣م، ص٧، ٨.





فقد انبثقت النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية من تصوراتها الجوهرية حول طبيعة النفس الإنسانية ومراتبها، ونظرية المعرفة، وإحصاء العلوم وتصنيفها، ومنهجية التعليم، وسياسة المجتمع، والعلاقة الجدلية بين الأخلاق والمعرفة؛ وبهذا المعنى يمكن القول: إن الفلسفة الإسلامية هي في جوهرها فلسفة تعليمية اجتماعية، تسعى إلى تحقيق الإنسان الكامل والمجتمع الفاضل.

أهمية البحث:

من خلال الرؤية المعروضة آنفًا، فإنَّ **أهمية فكرة هذا البحث** تتمثل في سعيه للكشف عن الأسس الفلسفية التي قامت عليها النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، من خلال دراسة نموذج أبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ)، الذي يُعدُّ المؤسس الحقيقي للفكر الفلسفي الإسلامي المشائي؛ فقد قدَّم الفارابي تصورًا تربويًّا متكاملًا يستند إلى فلسفته في الميتافيزيقا والنفس والأخلاق ونظرية المعرفة، واعتبر التربية والتعليم أداة لكمال النفس وإعداد الإنسان للاتصال بالعقل الفعَّال، ومن ثم الارتقاء إلى الكمال العقلي والأخلاقي والاجتماعي.

كما أنَّ دراسة هذه الأسس تمكِّن من إبراز أصالة الفلسفة الإسلامية في ميدان البحث التعليمي، وتفنيد الزعم القائل: إن الفكر التربوي الحديث اقتصر على التجربة الغربية وحدها، وتجاهل البحث الفلسفي الإسلامي في هذا المجال(١)، كما تتمثل أهميته

(١) يقول د. سيبستيان غونتر (أستاذ كرسي العربية والدراسات الإسلامية بجامعة غوتنغن بألمانيا): "إن في الدراسات التربوية الغربية المعاصرة ميلًا إلى إغفال النظريات والفلسفات والحركات الفكرية التي لم تنبثق من حضارة الغرب وثقافته، ومن أمثلة ذلك أن الدراسات التربوية الغربية عادة ما تنكب على الأسس اليونانية/ الرومانية، وأيضًا اليهودية/ المسيحية للتاريخ التربوي من وجهة النظر الأوروبية، تاريخ تربوي أوروبي المركز، بينما لا تولي المفاهيم والممارسات التربوية للحضارات الأخرى اهتمامًا كافيًا، وذلك مدعاة استغراب؛ نظرًا إلى التحديات المعقدة التي تواجهها المجتمعات الغربية في مطلع الألفية الثالثة". آراء العلماء المسلمين القدماء في نظرية التربية، بحث منشور بمجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عُمان، مسقط، العدد ٥١، شتاء ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٢٢٣.





المعاصرة في إمكانية الإفادة من مرتكزاته الفكرية لتطوير الرؤى التربوية الحديثة في العالم العربي والإسلامي.

أهداف البحث:

على النحو المتقدم، فإنَّ هذا البحث يهدف إلى: بيان أهم المبادئ والأسس الفلسفية التي قامت عليها النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، وتحليل مكوناتها الفكرية، من خلال رؤية الفارابي لهذه النظرية، بوصفها نابعة من نسقه الفلسفي في الوجود والمعرفة والأخلاق، وتوضيح مكانة التعليم لديه في تحقيق الكمال الإنساني والسعادة العقلية، وكذلك الإفادة من هذه الأسس الفلسفية في تطوير الرؤية التربوية المعاصرة بالتوازن بين المعرفة والقيم، والعقل والأخلاق.

مشكلة البحث:

ممَّا تقدَّم يمكن تحديد مشكلة هذا البحث في التساؤل الرئيسي الآتي:

ما أهم الأسس الفلسفية التي قامت عليها نظرية التعليم والتربية في الفلسفة الإسلامية كما عرضها أبو نصر الفارابي؟

تساؤلات الدراسة:

يتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي الممثل لمشكلة البحث عدد من التساؤلات الفرعية التي تُتَمِّم فكرة الدراسة، وهي كالآتي:

– كيف مثَّل البحث الفلسفي في النفس الإنسانية وتهذيب أخلاقها مبدأً تأسيسيًّا للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية؟

– ما طبيعة العلاقة بين المعرفة والتعليم في تصور الفارابي؛ بحيث تمثِّل أساسًا فلسفيًّا له؟ وكيف انعكست هذه العلاقة في محاولته لإحصاء العلوم وتصنيفها؟

– ما المنهجية التي تبنَّاها الفارابي في العملية التعليمية؟ وكيف يمكن فهم التفاعلية التعليمية لديه في ضوء فلسفته الاجتماعية؟ وكيف مثَّلت أساسًا فلسفيًّا للنظرية التعليمية لديه؟

– إلى أي مدى تمثل هذه الأسس نموذجًا فلسفيًّا إسلاميًّا أصيلًا في بناء نظرية تعليمية متكاملة يمكن الإفادة منها في الفكر التربوي المعاصر؟

منهج الدراسة:

في سبيل معالجة موضوع البحث وتحقيق غايته، تم الاعتماد على المنهجين البحثيين الآتيين: **المنهج التحليلي– النصي**، القائم على تحليل النصوص واستنباط المفاهيم؛ وذلك لتفسير المفاهيم الفلسفية المرتبطة بالتعليم في مؤلفات الفارابي وتحليل مضامينها، بما يكشف عن الروابط بين المباحث الفلسفية الكبرى والفكر التربوي، وبيان الأسس الفلسفية التي بنى عليها الفلاسفة المسلمون نظريتهم التعليمية. و**المنهج المقارن**؛ وذلك لمقارنة آراء الفارابي بآراء غيره من الفلاسفة المسلمين، بما يؤكد مركزية فكرة التعليم لديهم، وتأسيسها على نظرهم الفلسفي الدقيق في النفس الإنسانية وتهذيب الأخلاق، وفي المعرفة وتصنيف العلوم، والتدرج العقلي في اكتسابها، وفي الاجتماع الإنساني بصياغة منهجية التعليم وتفاعليته.

فروض البحث:

ينطلق البحث من مجموعة من الفروض النظرية التي يسعى إلى اختبارها وتحليلها علميًّا، وهي كالآتي:

– أن الفكر التعليمي في الفلسفة الإسلامية يقوم على أسس فلسفية ميتافيزيقية وأخلاقية ومعرفية وسياسية مترابطة، تُشكّل وحدة فكرية متكاملة.

– أن الفارابي قد قدَّم نموذجًا متميّزًا للنظرية التعليمية الإسلامية، مستندًا إلى تصوره لطبيعة النفس وكمالها، والعقل ومراتبه، والعلاقة بين التعليم والفضيلة.

– أن تصنيف العلوم عند الفارابي يُعدُّ أحد المرتكزات الرئيسة التي بنى عليها تصوره للنظام التعليمي والتدرج العقلي فيه، بما يعكس منهجه العقلي والبرهاني في ترتيب المعرفة.

– أن التربية والتعليم في الفلسفة الإسلامية لم يكونا نشاطين عمليين فحسب، بل نتاجًا لفكر فلسفي يسعى إلى تحقيق الكمال الإنساني والعقلي.





– أن إعادة قراءة التصور التعليمي الفلسفي الإسلامي يمكن أن تسهم في تطوير الفكر التربوي العربي والإسلامي المعاصر على أسس أخلاقية وعقلانية متوازنة.

مفاهيم مصطلحات الدراسة:

يمكن تحديد مفاهيم المصطلحات الواردة في عنوان البحث بما تجري عليه الدراسة لهذا الموضوع على النحو الآتي:

الأسس الفلسفية: المراد بها تلك المرتكزات الفكرية النظرية الدقيقة التي تقوم عليها نظرية معينة وتستند إليها في بلوغ أهدافها، والتي في ضوئها يمكن تفسير كل العمليات المرتبطة بها.

النظرية: المراد بها مجموعة المفاهيم والتصورات والآراء التي تفسر ظاهرة معينة أو قضية من القضايا، وهي أيضًا: تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة بإحكام.

التعليم: هو العملية التي يتم من خلالها نقل المعارف والعلوم، فهو نشاط إنساني يهدف إلى غاية هي معرفة ما كان مجهولًا من قبل.

التربية: هي عملية بناء شخصية الفرد، بالتنشئة والتعويد على اكتساب القيم الأخلاقية والسلوكيات الصحيحة في أي مجتمع إنساني؛ من خلال الإرشاد والتدريب والتثقيف.

الفلسفة الإسلامية المشائية: هو ذلك الاتجاه الفلسفي الإسلامي المتأثر بالفلسفة اليونانية وبحثها العقلي، وخصوصًا مدرسة أرسطو، مع محاولاتهم الدقيقة للتوفيق بين الدين والفلسفة، ومن أشهر من يمثلهم: الكندي، والفارابي، ومسكويه، وابن سينا، وإخوان الصفا، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد، بما قدموه من كتابات متنوعة مثَّلت في مجملها التراث الفلسفي الإسلامي.

لماذا الفارابي؟

وقع اختيار الفارابي كنموذج عام لهذا الاتجاه الفلسفي المشائي في الفكر الإسلامي، لاعتبارات عدَّة؛ منها: أن الفارابي يُعدُّ المؤسس الحقيقي للفكر الفلسفي الإسلامي المشائي، وكذلك لتنوع التصنيف الفكري للفارابي وشموليته لمختلف الموضوعات الفلسفية





والاجتماعية(١)، وأيضًا لذلك الحضور القوي لشخصية الفارابي وفكره على مستوى ساحة البحث العالمية، وإعادة بعث أفكاره ومحاولة الإفادة منها في فكرنا المعاصر(٢).

فالمراد بعنوان البحث: تلك المرتكزات النظرية والتصورات العقلية المنسقة والآراء المنضبطة التي تستند إليها عملية التعليم والتربية لدى الفلاسفة المسلمين كما دلَّ عليها الفارابي، بما يعبر عن مركزية فكرة التعليم في فلسفتهم، وبما يتسق مع اتجاههم الفلسفي العقلي في الإسلام.

تقسيم الدراسة:

في سبيل معالجة موضوع هذا البحث تم تقسيمه إلى: مقدمة وثلاثة مباحث رئيسية تمثل الأسس الفلسفية المتعددة لنظرية التعليم والتربية في الفلسفة الإسلامية، ثم أعقبته بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تتناول بيان موضوع البحث وأهميته وأهدافه ومشكلته ومنهجه، وخطة دراسته.

المبحث الأول: الأساس الأخلاقي: إصلاح النفس وتهذيب أخلاقها. ويتناول عرض تصوُّر النفس ومراتبها وقواها عند الفارابي، وكون إصلاحها وتهذيب أخلاقها يمثل مدخلًا أساسيًّا للتعليم واكتساب المعارف وتحصيل السعادة.

المبحث الثاني: الأساس المعرفي: إحصاء العلوم وتصنيفها. ويحلل منهج الفارابي في تصنيف العلوم، وبيان الغاية التعليمية منه، وصلته باكتساب المعارف والتدُّرج العقلي فيها.

(١) انظر: الفلسفة الأخلاقية والسياسية، تشارلز بتروورث، ترجمة: د. أشرف منصور، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوليو ٢٠٢٤م، ص١١، ١٢.

(٢) يُذكر من ذلك: جهود منظمة الإيسيسكو العالمية حول الفارابي، التي كان آخرها ذلك المؤتمر الذي عقدته منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، بشراكة مع وزارة الخارجية بجمهورية كازاخستان ممثلة في سفارتها بالرباط، تحت عنوان: "الفارابي وإسهاماته عبر التاريخ الإنساني" عام ٢٠٢٣م، وكذلك المؤتمر الذي عقده مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف من قبل بالتعاون مع سفارة جمهورية كازاخستان بالقاهرة عام ٢٠٢١م، بعنوان: "إسهامات الفارابي في إثراء الحضارة الإنسانية".





المبحث الثالث: الأساس الفلسفي الاجتماعي: منهجية التعليم وأساليبه التفاعلية. ويدرس البعد الاجتماعي للتعليم، ببيان العملية التعليمية ومنهجيتها وتفاعليتها، ودور المعلم والمتعلم فيها، والعلاقة بين التعليم والمجتمع الفاضل في فلسفة الفارابي.

ثم تُختتم الدراسة **بخاتمة** تتضمن أبرز النتائج والتوصيات، مع قائمة بأهم المصادر والمراجع.

وبهذا تسعى هذه الدراسة إلى إحياء البعد الفلسفي العميق في الفكر التربوي الإسلامي، وإبراز إسهام الفارابي في بناء رؤية تعليمية تُعلي من شأن العقل والفضيلة معًا، بما يجعلها جديرة بالاستلهام في مشروعات النهضة التعليمية المعاصرة.

المبحث الأول

الأساس الأخلاقي: إصلاح النفس وتهذيب أخلاقها

مدخل:

الملمح الأساس الذي تتجلَّى معالمه في بحث النظرية التعليمية في سياق الفكر الفلسفي الإسلامي، أنها تتأسس فيه على مبدأ أخلاقي نفسي بالأساس؛ حيث إنَّ من أهمَّ أسس اكتساب المعارف في التصور الفلسفي أن تكون النفس على كمال صورتها الأخلاقية الفاضلة، فكلما كانت النفس فاضلة أخلاقيًّا، كانت مؤهلة لتلقي المعارف والعلوم، وأكمل إدراكًا لها بتمام القوة العقلية فيها، فيكون صلاح النفس وتهذيب أخلاقها وقواها مبدأ تأسيسيًّا لعملية التعليم وتلقي المعارف العليا.

فيُمثِّل التصور الفلسفي المشائي للنفس الإنسانية وقواها ومراتبها عنصرًا مهمًّا في فهم النظرية التعليمية لدى الفلاسفة المسلمين، وصياغة عناصرها وتكامل بنائها في فلسفتهم؛ حيث تتأسس لديهم هذه النظرية التعليمية على فلسفتهم في النفس الإنسانية وقواها الإدراكية، وطريقة اكتسابها للمعارف والتجوهر بها والاتصال بالعقول العلوية، فبناء على هذا التصور للنفس الإنسانية ومداركها تتأسس فلسفتهم في العملية التعليمية والتربوية بالأساس.

فالنفس الإنسانية في التصور الفلسفي جوهر روحاني بسيط، تتنوع فيه القوى وتؤثر في بعضها البعض، وأعلاها منزلة هي قوة النفس الناطقة التي من أخص أعمالها وأعلى فضائلها تحصيل العلوم والمعارف، ولا تكون النفس الناطقة في أعلى درجات استعدادها لحصول المعارف والعلوم إلا بإصلاح النفس وتهذيب قواها وأخلاقها، وسيطرة القوة العقلية الفكرية على سائر قوى النفس الأخرى، فتعمل جميعها بحدِّ الاعتدال والضرورة منها.

وبذلك جرت عادة فلاسفة الإسلام في بحث النفس الإنسانية على الكشف عن ماهيتها وإدراك قواها، والسعي في تهذيب أخلاقها؛ طلبًا لتحصيل فضيلة النفس الناطقة؛ تمهيدًا لحصول معارفها النظرية وتحقيق كمالها المعرفي، ومن هنا يأتي العرض في هذا





المبحث لبيان موقف الفارابي من عملية التهذيب الأخلاقي والإصلاح النفسي، بوصفها مدخلًا أساسيًّا لعملية التعليم وكمال المعرفة.

تصور النفس وقواها لدى الفارابي (ت: ٣٣٩هـ):

بسط أبو نصر الفارابي القول في مسائل النفس الإنسانية وقواها، وحظيت باهتمام كبير لديه في فلسفته بعامة، وفي تقريره لمسائل العلم المدني من السياسة والأخلاق، لدرجة أنه يُعدُّ لدى الدارسين أول مَنْ حدَّد معالم علم النفس في الإسلام وبيَّن موضوعه(١)، وإنه وإن كان متأثرًا بالفلسفة الأرسطية والشروح عليها عامة في تصوراته للنفس وقواها(٢)، إلا أنه كانت له تفرداته الخاصة فيها(٣).

وإذا تجاوزنا مسألة تعريف النفس والاضطراب الوارد فيها عند الفارابي، بين اعتماد تعريف أرسطو لها بأنها: "استكمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة"(٤)، أو ذهابه إلى أنها جوهر روحاني بسيط مفارق(٥)، وهذا الأخير هو الأرجح والمتسق مع فلسفته في النفس، ولا يأخذ من التعريف الأرسطي سوى مجرد التلازم بين النفس والجسد في

(١) انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د. إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م، (١/ ١٣٣).

(2) See: David C. Reisman, “Al-Farabi and the Philosophical Curriculum”, in The Cambridge Companion to Arabic Philosophy, ed. Peter Adamson and Richard C. Taylor, Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p60.

وقارن: الفارابي والتعليم الفلسفي، ديفيد رايزمان، ترجمة: د. أشرف منصور، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أكتوبر ٢٠٢٣م، ص١١.

(٣) انظر: النفس عند الفارابي: دراسة تحليلية، د. أمل عبد المنعم عبد الفتاح بسيوني، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، المجلد ٣٣، العدد ٢، إبريل ٢٠٢١، ص١٧٦: ١٩٢.

(٤) الرسائل الفلسفية الصغرى، أبو نصر الفارابي، تحقيق: د. عبد الأمير الأعسم، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٢م، (رسالة مسائل متفرقة)، ص١٢٣.

(٥) انظر: المرجع السابق، (رسالة إثبات المفارقات)، ص٢٦، ٢٧، و(رسالة فصوص الحكم)، ص٢٠٦.





الوجود الإنساني[١].

إذا تجاوزنا ذلك، فإنَّ الفارابي قد انطلق من المسلَّمة نفسها في تعدُّد قوى النفس الإنسانية، التي تنقسم لديه إلى: "القوة الناطقة والقوة النزوعية والقوة المتخيلة والقوة الحساسة"[٢]، وأعلاها مرتبةً هي قوى النفس الناطقة، التي تختص لديه بفضائل المعرفة والنظر وتحصيل العلوم والمعقولات، فيقول: "القوة الناطقة هي التي يحوز بها الإنسان العلوم والصناعات، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال والأخلاق، وبها يُروي فيما ينبغي أن يفعل أو لا يفعل"[٣].

فهذه النفس الناطقة لمَّا كانت مختصة بتحصيل العلوم والمعارف لدى الفارابي، كان تحقيق منزلتها في النفس الإنسانية ضرورة لبلوغ كمالها وتحصيل سعادتها وخلودها، وإنما يتحصل ذلك لها بإصلاح قوى النفس الأخرى وتهذيب أخلاقها ونزوعها إلى الخيرات والفضائل؛ وبذلك يصح في النفس الناطقة تحصيل العلوم وكمال المعرفة بالاتصال بالعقل الفعال والتجوهر بالمعقولات[٤].

إن بلوغ النفس كمال قوتها الناطقة هو الخير الأسمى والسعاة الكاملة في فلسفة الفارابي، ولا يكون ذلك إلا بانقياد قوى النفس الأخرى إليها، فتفعل النفس الخير بإرادتها وتشتاق إليه وتحصله، وتكتسب المعارف والعلوم من العقل الفعال حتى يكون اتصالها تامًّا به، وهذا لا يكون إلا بترويض قوى النفس وتهذيبها.

---

(١) انظر: الإنسان في الفلسفة الإسلامية: نموذج الفارابي، د. إبراهيم عاتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص١٠٣، ١٠٤.

(٢) كتاب السياسة المدنية، أبو نصر الفارابي، تحقيق: د. فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٦٤م، ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣، وقارن: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، تحقيق: د. ألبير نصري نادر، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٨٧.

(٤) انظر: الرسائل الفلسفية الصغرى، أبو نصر الفارابي، مرجع سابق، (عيون المسائل)، ص٨٨، ٨٩.





يوضح الفارابي هذه العلاقة بين قوى النفس بقوله: "والسعادة التي إنما يعقلها الإنسان ويشعر بها هي بالقوة النظرية لا بشيء آخر من سائر القوى، وذلك إذا استعمل المبادئ والمعارف الأول التي أعطاه إيَّاه العقل الفعال، فإذا عرفها ثم اشتاقها بالقوة النزوعية وروّي فيما ينبغي أن يعمل حتى ينالها بالناطقة العملية، وفعل تلك التي استنبطها بالرويّة من الأفعال بآلات القوة النزوعية، وكانت المتخيلة والحساسة اللتان فيه مساعدتين ومنقادتين للناطقة ومعينتين لها في إنهاض الإنسان نحو الأفعال التي ينال بها السعادة، كان الذي يحدث حينئذ من الإنسان خيرًا كله؛ فبهذا الوجه وحده يحدث الخير الإرادي"[1].

فهذا النص يعكس التصور الفلسفي للنفس الإنسانية وأدوار قواها في تحقيق السعادة –التي هي الهدف الأسمى للإنسان– لدى الفارابي، فإنما يكون ذلك بكمال القوة الناطقة للنفس من خلال المعارف الأُول التي تُحصِّلها من العقل الفعال، وذلك إذا أعانتها عليه سائر قوى النفس: النزوعية والحساسة والمتخيلة، بانقيادها إليها، وكذلك بالقوى العملية من اكتساب الفضائل والأخلاق الحسنة، والأفعال الإرادية الخيرة التي تقود إلى السعادة الكاملة الحقيقية للإنسان.

وبذلك تبرز فكرة تكاملية القوى النفسية وترابطها (النظرية، العملية، المتخيلة، الحساسة، النزوعية) لتحقيق غاية واحدة، وهي تحصيل السعادة، بواسطة كمال القوة النظرية باكتساب المعارف والعلوم والاتصال بالعقل الفعال، ويبرز فيها الجانب الأخلاقي التربوي، الذي هو سبيل هذه النفس لبلوغ كمالها النظري المعرفي، بتحصيل الفضائل العملية والأعمال الإرادية الخيرة، التي تعين هذه النفس الناطقة على اكتساب العلوم والمعارف، وكمال سعادتها.

تفاعل قوى النفس وتنازعها في فلسفة الفارابي:

هذا التفاعل بين قوى النفس وانقيادها للقوة الناطقة هو ما يبلغ بالنفس حدَّ الكمال وتحصيل الخير والسعادة، التي هي العلوم والمعارف النظرية والعملية؛ ولذلك يفصل

(١) المرجع السابق، ص٧٣، وقارن: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، مرجع سابق، ص١٠٦، ١٠٧.





الفارابي القول في حصول المنازعة بين القوة الناطقة للنفس وقوتها النزوعية البهيمية، فإذا انقادت قوى النفس إلى النفس الناطقة كان تحصيلها للمعارف والعلوم أتم وسعادتها أكمل.

فعن نزاع قوى النفس البهيمية والناطقة يقول الفارابي: "إن لكل شخص من أشخاص النَّاس قوتين: إحداهمَا ناطقة وَالْأُخْرَى بهيمية، وَلكُل وَاحِدَة مِنْهُمَا إِرَادَة وَاخْتِيَار وَهُوَ كالواقف فِيمَا بَينهمَا، وَلكُل مِنْهُمَا نزاع غَالب، فنزاع الْقُوَّة البهيمية نَحْو مصادفة اللَّذَّات العاجلة الشهوانية مثل أَنْوَاع الْغذَاء وأنواع الاستفراغات وأنواع الاستراحات، ونزاع الْقُوَّة النطقية نَحْو الْأُمُور المحمودة العواقب؛ مثل أَنْوَاع الْعُلُوم وأنواع الْأَفْعَال الَّتِي تَجِد العواقب المحمودة"(١).

يشير الفارابي هنا إلى أنَّ النفس الإنسانية مكونة من قوتين أساسيتين: القوة الناطقة، والقوة البهيمية، مبينًا طبيعة هاتين القوتين، وأهدافهما، ونزاعهما الداخلي، مع التركيز على مسؤولية الإنسان في توجيه نفسه، فبينما تمثل القوة النظرية الجانب العقلي المعرفي السامي للإنسان، تمثل القوة البهيمية فيه جانب الجسد المادي ونزعاته الشهوانية، وهو يصور قيام الصراع بين القوتين في النفس، بحيث ينقاد الإنسان إلى ما يغلب عليه منهم، والإنسان في هذا السياق يُشبه الحاكم أو القاضي الذي يقف بين قوتين متصارعتين، وهنا يُبرز الفارابي أهمية الإرادة الحرة ودور الإنسان في توجيه نفسه نحو القوة الأنسب.

وبتأمل هذا الصراع بين القوتين، يأتي الدور التربوي الأخلاقي والسلوك الإرادي كمدخل أساس لتعزيز قوة النفس الناطقة وسيطرتها على النفس البهيمية، فبتهذيب شهواتها والوقوف بها عند حد الاعتدال، وتحصيل فضائلها الأخلاقية، تكون الغلبة للنفس الناطقة، بما يُمكِّنها من تحصيل المعارف والعلوم وانجذابها للمعارف العلوية والاتصال بالعقول المفارقة، وتحصيل السعادة الكاملة.

ولهذا التلازم بين تهذيب قوى النفس وإصلاحها وتحصيل المعارف والعلوم النظرية والعملية التي بها يكون كمال النفس الناطقة؛ ينبه الفارابي لضرورة متابعة النفس وعدم

---

(١) السياسة (رسالة ضمن مجموع في السياسة)، أبو نصر الفارابي، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ص٨، ٩.

الغفلة عنها وتهذيب قواها لكي يسهل انقيادها للقوة الناطقة وتتمكن من تحصيل المعارف والعلوم.

يقول الفارابي: "فَوَاجِب على كلِّ من يروم نيل الْفَاضِل أَن لَا يتغافل عَن تيقيظ نَفسه فِي كل وَقت، وتحريضها على مَا هُوَ أصلح لَهُ، وَأَن لَا يهملها سَاعَة، فَإِنَّهُ مَتى مَا أهملها وَهِي حَيَّة، والحي متحرك، لَا بُد من أَن تتحرك نَحْو الطّرف الآخر الَّذِي هُوَ البهيمي، وَإِذا تحركت نَحوه تشبثت بِبَعْض مِنْهُ، حَتَّى إِذا أَرَادَ ردهَا عَمَّا تحركت إِلَيْهِ لحقه من النصب أَضْعَاف مَا كَانَ يلْحقهُ لَو لم يهملها ويعطل وقته الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَن يحصل فِيهِ فَضِيلَة لاشتغاله بالاحتيال لردها عَمَّا تحركت نَحوه وفاتته تِلْكَ الْفَضِيلَة"(١).

وبذلك يطرح الفارابي رؤية تربوية وأخلاقية تستند إلى طبيعة النفس التي تميل إلى الحركة المستمرة، سواء نحو الفضيلة أو نحو الشهوات، فيلزم عدم الغفلة عنها، بحيث إذا كانت على كمالها الأخلاقي وفضيلتها العملية، كانت مؤهلة حقًّا لتلقي المعارف واكتساب.

كما يُشير النص إلى أن العملية التربوية في فلسفة الفارابي تتطلب جهدًا يوميًّا متواصلًا، حيث لا مجال للإهمال في تهذيب النفس، فإنَّ استرجاع النفس إلى الفضيلة بعد انحرافها يتطلب جهدًا أكبر بكثير من الجهد الذي كان يمكن بذله لتوجيهها من البداية.

فالفارابي هنا يُقدم رؤية ديناميكية للنفس بوصفها كيانًا حيًّا متحركًا يتطلب توجيهًا دائمًا، ويؤكد أن التفاعل بين قوى النفس يمكن أن يؤدي إلى الفضيلة أو الرذيلة؛ بناءً على مدى انضباط النفس وحسن إدارتها، ويوجه دعوة واضحة للتربية الذاتية المستمرة، والحذر من مغريات الشهوات التي قد تُبعد النفس عن تحقيق غايتها السامية، ويدل على أن إصلاح النفس وتهذيب قواها هو مبدأ تأسيسي لا غنى عنه لتحصيل العلوم والمعارف وكمال قوة النفس النظرية.

---

(١) المرجع السابق، ص٩.

تهذيب الأخلاق ضرورة لتعلم الفلسفة لدى الفارابي:

لمَّا كانت الفلسفة لدى الفارابي هي أعلى مراتب العلوم، وهي التي تجتمع فيها كمال النفس الناطقة بقسميها النظري والعملي –كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني–، نجد الفارابي يدل بوضوح على أن تعلمها وتحصيلها لابد أن يسبقه ذلك التهذيب الأخلاقي والإصلاح النفسي، ليتمكن الإنسان من تعلم هذا العلم الشريف الذي يبلغ بنفسه كمالها، فيقول:

"ينبغي قبل الدرس لعلم الفلسفة أن تصلح أخلاق النفس الشهوانية؛ كيما تكون الشهوة للفضيلة فقط، التي هي بالحقيقة فضيلة فقط، لا التي تتوهم أنها كذلك؛ أعني: اللذة والمحبة والغلبة، وذلك يكون بإصلاح الأخلاق، لا بالقول فقط، لكن بالأفعال أيضًا"(١).

فيرى الفارابي أن الخطوة الأولى نحو تعلم الفلسفة تبدأ بإصلاح النفس الشهوانية، أي الجانب النفسي المرتبط بالشهوات والرغبات والدوافع الغريزية مثل اللذة والمحبة والغلبة؛ هذه الدوافع قد تقود الإنسان إلى السعي وراء المتع الزائفة التي يظن أنها الخير الحقيقي، بينما هي في الحقيقة أوهام.

كما ينبه الفارابي على ضرورة أن يكون هذا الإصلاح الخلقي النفسي واقعًا عمليًّا لا مجرد إصلاح نظري للأخلاق، فهو ضرورة أولى لتحصيل كمال النفس الناطقة وتمام استعدادها لتلقي الفلسفة والمعارف العلوية؛ فهذا يدلُّ بوضوح على أن الفارابي يرى في الفلسفة مشروعًا عمليًّا لتغيير السلوك الإنساني، وليس مجرد تمرين ذهني نظري.

تعقيب:

يتبين ممَّا سبق أنَّ الفارابي جعل من عملية الإصلاح الخلقي وتهذيب قوى النفس وتزكيتها مقدمة ضرورية لاكتساب العلوم والمعارف، وتحصيل كمال النفس الإنسانية الناطقة في قوتيها النظرية والعملية، فبتحصيل فضائل النفس وتزكيتها يصح إدراكها

---

(١) الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية، أبو نصر الفارابي، رسالة: ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة، تحقيق: د. عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٢١م، ص٢٤٠، ٢٤١.





للحقائق وتلقي المعارف والعلوم الشريفة، وبذلك فإن النظرية التعليمية لديه تتأسس على مدخل أخلاقي نفسي بالأساس.

وهذا الموقف المتقدم نفسه لدى الفارابي من النفس الإنسانية وتنوع قواها وضرورة التهذيب النفسي والتربية الأخلاقية كمقدمة أولية لصحة تحصيل المعارف والعلوم، هو نفسه ما استقرت عليه الفلسفة المشائية بعامة؛ فقد تأسس أولاً لدى الكندي (ت: ٢٥٦هـ)، حيث تميزت النفس لديه بجوهرها الروحاني(١)، وتتعدد فيها القوى وتتنازع أيضًا، واختصت النفس الناطقة عنده بتحصيل العلوم والمعارف والصناعات، التي تكون في غاية كمالها بإصلاح قوى النفس الأخرى والسيطرة عليها وانقيادها للنفس الناطقة(٢)؛ وهكذا كلما تخلصت النفس الناطقة من التعلق بالرذائل والشهوات واعتدلت أخلاقها، انتقلت من الجهل إلى العلم، وكانت أكثر صفاء كالمرآة المصقولة، فتكون أسرع قبولًا للمعارف والعلوم وتحقيق كمال القوة النظرية والعملية فيها(٣).

كما ظهرت هذه الفكرة نفسها جليةً لدى **ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن يعقوب الرازي، ت: ٤٢١هـ)** أيضًا، فكان المبدأ الأساس لديه في تحصيل المعارف النظرية العليا، وتحقيق فضائل النفس الناطقة بالعلم والمعرفة، ناتج بالأساس عن مقدمة في تهذيب النفس وإصلاح قواها وتحقيق فضائلها، فهو يقول: "أما شوقها –أي النفس– إلى أفعالها الخاصة بها؛ أعني العلوم والمعارف، مع هربها من أفعال الجسم الخاصة به فهو فضيلتها... فأما الفضائل أنفسها فليست تحصل لنا إلا بعد أن تطهر نفوسنا من الرذائل

(١) رسائل الكندي الفلسفية، (رسالة الكندي في القول في النفس)، الكندي، تحقيق: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٤، ٢٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٦؛ حيث يقول: "النفس العقلية إذا كانت صدئة ودنسة كانت في غاية الجهل، ولم يظهر فيها صور المعلومات، وإذا تطهرت وتهذبت وانصقلت –وصفاء النفس هو أنَّ النفس تتطهر من الدنس وتكتسب العلم– ظهر فيها صورة معرفة جميع الأشياء؛ وعلى حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالأشياء؛ فالنفس كلما ازدادت صقالًا ظهر لها وفيها معرفة الأشياء".





التي هي أضدادها أعني شهواتها الرديئة الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية"[١].

فإذا كانت النفس الناطقة في أفضل صورة لها وعلى كمالها الأخلاقي وكانت لها الغلبة على قوى النفس الأخرى؛ صحت لها المعارف وحصَّلت العلم والحكمة[٢].

ولذلك يؤكد مسكويه أنَّ السبيل الأول لتحصيل العلم والمعارف هو التأديب والإصلاح النفسي، وهو ما جاءت به الشريعة من أحكام موصلة لهذه الفضائل النظرية، وكذلك يؤكد ضرورة **أخذ النشء بالتأديب على الفضائل** كمبدأ تأسيسي قبل عملية التعليم لديه[٣].

كذلك اكتمل هذا البناء الفلسفي للنفس الإنسانية وقواها عند **ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ)**، فحظيت باهتمام كبير وشغف بحثي لديه[٤]، وسار فيه على نهج الفارابي والفلاسفة من قبله، فكانت النفس لديه جوهرًا روحيًّا تتنازعه عدة قوى[٥]، ويأتي في أعلاها قوى النفس الناطقة التي تختص بالعلوم والمعارف والصناعات، والتي تكتمل معرفتها وتحصيلها

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ، ص١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٥؛ حيث يقول: "والشريعة هي التي تُقوِّم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية، وتُعدُّ نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم. وعلى الوالدين أخذهم بها وسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضروب إذا دعت إليه الحاجة، أو التوبيخات أن صدتهم أو الأطماع في الكرامات أو غيرها مما يميلون إليه من الراحات أو يحذرونه من العقوبات؛ حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمان كثيرة أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا وينبهوا على طرق الفضائل واكتسابها والبلوغ إلى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بصددها".

(٤) انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د. إبراهيم بيومي مدكور، مرجع سابق، (١/ ١٣٤)، وفي النفس والعقل، د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٢م، ص٧٧.

(٥) انظر: الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م، (٢/ ٣٥٦). ورسالة: معرفة النفس الناطقة وأحوالها، ابن سينا، (ضمن كتاب النفس البشرية عند ابن سينا للدكتور ألبير نصري نادر)، دار المشرق، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م، ص٣١.





واتصالها بالعقول العلوية بسبيل تهذيب قوى النفس وتحقيق أخلاقها أيضًا[1].

وظهرت هذه الفكرة جلية في موقف ابن سينا من تربية الناشئة وتعليمهم، فأهم ما يؤكد عليه هو حسن تربيتهم وتعويدهم الأخلاق الكريمة وإصلاح نفوسهم، التي تأتي لديه كمقدمة أساس في تلقي العلم وتحصيل المعارف التي يعرضها بصورة من التدرج حتى بلوغ المعارف العليا[2].

وظهرت هذه الفكرة نفسها لدى أعلام الفلسفة المشائية في المغرب الإسلامي، مثل: البطليوسي[3]، وابن باجة[4]، وابن طفيل[5]، وابن رشد[6]، فجميعهم يرى أن القوة الناطقة في الإنسان لا تبلغ كمال استعدادها لتحصيل المعارف والعلوم إلا بتهذيب أخلاق النفس وإصلاح قواها وانقيادها للقوى العقلية والفكرية في الإنسان.

---

(١) انظر: النفس من كتاب الشفاء، ابن سينا، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مؤسسة بستان كتاب، قم–إيران، ط٥، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٦١- ٦٣.

(٢) انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة»، ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت)، ص١٠١.

(٣) انظر: الحدائق في المطالب العالية الفلسفية، البطليوسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٥٠: ٥٣، وص١٣٠، ١٣١.

(٤) انظر: رسائل ابن باجة الإلهية، ابن باجة، تحقيق: د. ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، (رسالة تدبير المتوحد)، ص٤٦، ٤٧، وله: رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٣م، (رسالة: ارتياض في تصور القوة المتخيلة والناطقة)، (٢/١٦٠، ١٦١)، ورسالة: في المعرفة النظرية والكمال الإنساني، (٢/١٥٦).

(٥) انظر: فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان)، ابن طفيل، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٠٥: ١١٥.

(٦) انظر: الضروري في السياسة، ابن رشد، تعريب: د. أحمد شحلان، تحقيق: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٧٦، ٧٨، ومناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تحقيق: د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م، ص٢٤١.





وبذلك يتضح جليًّا أن الأساس الأول الذي تؤسس عليه النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، هو ذلك الأساس الأخلاقي من إصلاح النفس وتهذيب قواها وأخلاقها، كمبدأ أول لاكتساب المعارف والعلوم، وبناء على ذلك فإن عملية التعليم تبدأ أولًا من مدخل أخلاقي بتهذيب نفوس الناشئة وتعويدهم الفضائل والأخلاق الحسنة، حتى تقوى لديهم الملكات الفكرية والحس الصادق، فتكون استجابتهم أعلى واستعدادهم أقوى لقبول العلوم والمعارف.

المبحث الثاني

الأساس المعرفي: إحصاء العلوم وتصنيفها

مدخل:

يمثِّل الأساس المعرفي في اكتساب المعارف وإحصاء العلوم وتصنيفها أساسًا آخر من الأسس الفلسفية للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، ويأتي هذا الأساس تابعًا ومترتبًا على الأساس الأول من تهذيب أخلاق النفس الإنسانية وإصلاح قواها، فإذا بلغت النفس الناطقة كمال استعدادها لتحصيل المعارف والعلوم بتهذيب أخلاقها وصلاح قواها وانقيادها للقوة العقلية في الإنسان، فما أنواع تلك العلوم والمعارف التي يمكن للنفس تحصيلها وبلوغ أعلى درجات كمالها وسعادتها؟ وما التصور الفلسفي الذي يقوم عليه تصنيفها وترتيبها في التلقي المعرفي؟

هنا نجد للفلاسفة المسلمين عناية خاصة بتصنيف العلوم ومحاولة حصرها وترتيبها بحسب أهميتها واحتياج النفس إليها، بل ربما كانت أولى المحاولات الجادة المتكاملة لتصنيف العلوم وإحصائها في تاريخ الفكر الإسلامي راجعة لدائرة الفلسفة الإسلامية المشائية[١]، كما تعددت محاولات التصنيف المعرفي لدى الفلاسفة المسلمين[٢]، ولكنها

(١) يمثل الفارابي في كتابه إحصاء العلوم هذه المحاولة الرائدة المتكاملة في تصنيف العلوم عند العرب، فلم يؤثر عن أحد قبله تصنيف كتاب مستقل في هذا المجال، ولا عن أفلاطون أو أرسطو من قبل، وإن كانت أقدم المحاولات في تصنيف العلوم العربية ترجع إلى جابر بن حيان (ت: ١٦٠هـ)، ويعقوب الكندي (ت: ٢٥٦هـ)، إلا أنها لم تكن مفصلة ومستقلة كما هي عند الفارابي. انظر: منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ص٥٩، والعلوم الإسلامية: مبادئها وتصنيفها، د. محمد صادق بوعلاق، ضمن: مجموعة مؤلفين، مناهج العلوم الإسلامية: أسس المعرفة الدينية وقضايا العلوم الإسلامية، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف – العراق، ط١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م، (١/ ٢١٤).

(٢) شغلت مسألة إحصاء العلوم وتصنيفها مساحة واسعة في الفكر الفلسفي الإسلامي، وقلما نجد فيلسوفًا لم يتعرض إليها ضمن فكره الفلسفي والتعليمي، فتعرض لها الكندي والفارابي وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم –كما شغلت كثيرًا من علماء الإسلام من غير الاتجاه المشائي– وتنوعت=





تقاربت بدرجة ما في مجملها، ضمن ترتيب منطقي في تعليم النفس الإنسانية وترقيها.

والذي يعنينا في مجال هذا البحث هو بيان كيف مثَّل إحصاء العلوم وتصنيفها أساسًا فلسفيًّا معرفيًّا للنظرية التعليمية لدى الفلسفة المشائية؛ حيث كانت الغاية الدافعة لهذه المحاولات الفلسفية في إحصاء العلوم وتصنيفها وترتيبها هي في أصلها غاية تعليمية بالأساس(١)، بحيث يكون التلقي المعرفي في هذه العملية التعليمية مؤسسًا على هذه الرؤية الفلسفية في إحصاء العلوم وترتيبها بحسب حاجة النفس الإنسانية إليها، والتدرج المنهجي في اكتسابها استكمالًا لوجودها وتحصيلًا لسعادتها.

وبذلك يكون المنظور التعليمي هو المحرك الأساس في عملية تصنيف العلوم لدى الفلسفة المشائية، بما يجعله أساسًا فلسفيًّا ضروريًّا للنظرية التعليمية بعامة لديهم، ومن هنا يأتي العرض في هذا المبحث لبيان موقف الفلاسفة المسلمين متمثلًا في فلسفة الفارابي من عملية إحصاء العلوم وتصنيفها بوصفها مبدأ أساسيًّا لعملية التعليم وكمال المعرفة والسعادة.

=هذه التصنيفات وترتيب منازل العلوم فيها لديهم، إلا أنها تتقارب في الأساس الفلسفي الذي بُنيت عليه من تقسيم العلوم إلى نظرية وعملية وفق تصورهم للحكمة وانقسامها إلى نظرية وعملية؛ تأثرًا منهم في ذلك بفلسفة أرسطو، وإن لم تخلُ من عناصر جدة وخروج عن النسق اليوناني أيضًا. انظر: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، (١/٣٨٣، ٣٨٤)، ودراسات في تاريخ العلوم عند العرب، د. أحمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٧، وأمير دزيري، مراتب العلوم: حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي، ترجمة: محمد فتوح، مركز نهوض للدراسات والبحوث، الكويت، ٢٠٢٣م، ص١٤، ود. مرزوق العمري، تصنيف العلوم عند المسلمين، مقال منشور بمجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، السنة ٩، العدد ١٦، ٢٠١٢م، ص٢٩٦.

(١) يشير أمير دزيري إلى هذه الملاحظة المهمة في عملية تصنيف العلوم بعامة لدى العلماء والفلاسفة المسلمين بقوله: "إن غضضنا الطرف عن اختلاف منهجيات المُصنفين ومقارباتهم، فإننا نجدهم يتفقون على نقطة مركزية؛ هي أن ترتيب العلوم وتصنيفها ليس غاية في ذاته، بل تقف خلف هذا التصنيف غايةٌ أخرى، وغالبًا ما تكون غاية تعليمية، أي يتغيًّا بها إرشاد طلاب العلم -بقدر المستطاع- إلى التدرُّج المناسب والترقي في العلوم، وتُقربهم من المعارف الإسلامية، وينصُّ كثير من المصنفين في مراتب العلوم الإسلامية على هذه الغاية في المقدمة". مراتب العلوم: حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص٨.





التصور الفلسفي لتصنيف العلوم لدى الفارابي:

يأتي التصور الفلسفي لإحصاء العلوم وتصنيفها وترتيبها في سياق المشائية الإسلامية في ضوء نظريتهم في النفس الإنسانية وتحصيل السعادة، كأنها انعكاس طبيعي لها، فقوى النفس الناطقة هي المختصة بالعلوم والمعارف، وفي تحصيل هذه المعارف للنفس حصول سعادتها وكمالها واتصالها بالعقول العلوية، ولمَّا كان كمال النفس الناطقة منه ما هو نظري ومنه ما هو عملي، جاءت العلوم مصنفَّة لديهم وفق هذا التصور في شقي العلوم النظرية والعملية وما هو آلة لهما، وهو تصور قد لا يخرج في جوهره عن النسق اليوناني كما سبقت الإشارة، إلا أنه كانت له انطباعات إسلامية خاصة تميزه[١].

أقام الفارابي تصنيفه للعلوم وفق نظريته في السعادة وتشوق النفس لتحصيلها[٢]؛ فجاء تقسيمه للعلوم بعامة إلى قسمين كبيرين بحسب ما يحقق للنفس الإنسانية سعادتها وكمالها؛ وهما:

١- العلوم النظرية (التي يحصل بها معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها)، بما تشتمل عليه من: علوم التعاليم (أي علوم الرياضيات بأنواعها)، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي.

٢- والعلوم العملية (التي يحصل بها معرفة الأشياء التي من شأنها أن تُفعل)، بما تشتمل عليه من العلم المدني الذي يتضمن الأخلاق والسياسة[٣].

دلَّ الفارابي في رسالته (التنبيه على سبيل السعادة) على هذا التصور الفلسفي

---

(١) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد عبد الحميد موسى، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) انظر: فيلسوف العرب والمعلم الثاني، د. مصطفى عبد الرازق، شرح وتعليق: د. مصطفى النشار، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٩، ص٧٠.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق د. عثمان أمين لكتاب إحصاء العلوم، للفارابي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م، ص١٦، ١٧، ونظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، د. حامد طاهر، بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ٩، ١٩٩١م، ص٣٨٧.

للقسمة الثنائية لأصناف العلوم بناء على تحصيل سعادة النفس وكمالها بقوله: "إنَّ جودة التمييز هي التي بها نحوز وتحصل لنا معارف جميع الأشياء التي للإنسان علمها، والأشياء التي للإنسان علمها صنفان: صنف شأنه أن يُعلَم، وليس شأنه أن يفعله الإنسان، لكن إنما يُعلم فقط، ... وصنف شأنه أن يُعلم ويفعل، ... وما شأنه أن يُعلم ويُعمل فكماله أن يُعمل، وعلم هذه الأشياء متى حصل ولم يردف بالعمل كان العلم باطلًا لا جدوى له، وما شأنه أن يُعلم ولم يكن شأنه أن يعمله الإنسان فإن كماله أن يُعلم فقط، وكل واحد من هذين الصنفين له صنائع تحوزه"(١).

وبعد أن حدَّد الفارابي هذا الأساس من التقسيم الثنائي للعلوم إلى نظرية وعملية، بما يُحصِّله الإنسان بجودة تمييزه ويحقق له النفع والسعادة، يُبين أن تمام هذه الغاية بتحصيل الجميل يتمثل في صناعة الفلسفة التي هي جماع الحكمة النظرية والعملية، وصنَّف فيها العلوم بين قسمي الفلسفة النظرية والفلسفة العملية، بقوله:

"ولما كان الجميل صنفين: صنف هو علم فقط، وصنف هو علم وعمل، صارت صناعة الفلسفة صنفين: صنفًا به تحصل معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها، وهذه تسمى الفلسفة النظرية، والثاني: به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تُفعل، والقوة على فعل الجميل منها، وهذه تسمى الفلسفة العملية والفلسفة المدنية.

والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف من العلوم؛ أحدها: علم التعاليم، والثاني: علم الطبائع، والثالث: علم ما بعد الطبيعيات. وكل واحد من هذه العلوم الثلاثة يشتمل على صنف من الموجودات التي من شأنها أن تُعلم فقط...

والفلسفة المدنية صنفان؛ أحدهما: به يحصل علم الأفعال الجميلة، والأخلاق التي عنها تصدر الأفعال الجميلة، والقدرة على اقتنائها، وبه تصير الأشياء الجميلة قُنية لنا، وهذه تُسَمَّى الصناعة الخلقية، والثاني: يشتمل على معرفة الأمور التي بها تحصل

(١) رسالة التنبيه على سبيل السعادة، الفارابي، تحقيق: د. سحبان خليفات، الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٢٠، ٢٢١.





الأشياء الجميلة لأهل المدن، والقدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم، وهذه تُسَمَّى الفلسفة السياسية، فهذه جُمَل أجزاء صناعة الفلسفة"[١].

هذا التصور الفلسفي لتصنيف العلوم قد دلَّ عليه الفارابي في أكثر من موضع في كُتبه؛ كما في كتابه تحصيل السعادة[٢]، والسياسة المدنية[٣]، وفي كتاب فصول منتزعة له[٤].

إلا أن المحاولة التصنيفية الأوسع للعلوم لدى الفارابي فقد ضمنها كتابه (إحصاء العلوم) الذي جاء مستقلًّا لهذا الغرض، وممثلًا لتطبيق نظرية الفارابي وتصوره الفلسفي لتصنيف العلوم وفق سعادة النفس الإنسانية وكمالها[٥].

لقد حدَّد الفارابي غايته من الكتاب في تقديمه بقوله: "قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علمًا علمًا، ونُعرِّف جملَ ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما في كل واحد من أجزائه"[٦].

فمحاولة الفارابي هنا شاملة لإحصاء أنواع العلوم، والتعريف بها وبيان فائدتها وتوضيح أجزائها، وكذلك تصنيف لهذه العلوم وترتيبها[٧]، بما تنطوي عليه من الغاية التعليمية وفق فكره الفلسفي.

---

(١) رسالة التنبيه على سبيل السعادة، الفارابي، مرجع سابق، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) انظر: تحصيل السعادة، الفارابي، تحقيق: د. علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٦: ص٤٧.

(٣) انظر: السياسة المدنية، الفارابي، مرجع سابق، ص٣٣، ٣٤.

(٤) انظر: فصول منتزعة، الفارابي، تحقيق: د. فوزي متري نجار، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص٢٩، ٣٠.

(٥) انظر: نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، د. حامد طاهر، مرجع سابق، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٦) إحصاء العلوم، الفارابي، تحقيق: د. عثمان أمين، مرجع سابق، ص٥٣.

(٧) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد عبدالحميد موسى، مرجع سابق، ص٥٦: ٥٨، ونظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، د. حامد طاهر، مرجع سابق، ص٤١٤.

جعل الفارابي كتابه إحصاء العلوم في خمسة فصول بحسب تصوره لأقسام العلوم وأنواعها، وكذلك جاء ترتيب هذه الفصول المشتملة على أقسام العلوم وفق تصوره لمراتب العلوم وتدرجها، فيقول: "ونجعله في خمسة فصول:

الأول: في علم اللسان (ويشمل علوم اللغة، والكتابة، وتصحيح القراءة والأداء).

والثاني: في علم المنطق وأجزائه (التصور والتصديق والقياس، ويبين الأدلة البرهانية، والجدلية والخطابية.. الخ).

والثالث: في علوم التعاليم، وهي العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمي، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال وعلم الحيل.

والرابع: في العلم الطبيعي وأجزائه (مبادئ الأجسام، والكون والفساد، وخصائص المعادن والنبات والحيوان)، وفي العلم الإلهي وأجزائه (الميتافيزيقا في الفلسفة القديمة، والإلهيات في علم التوحيد).

والخامس: في العلم المدني وأجزائه (ويشمل علم الأخلاق والسلوك، وعلم السياسة)، وفي علم الفقه (ويشمل على الأحكام الفرعية، وعلم أصول الفقه)، وفي علم الكلام (وهو الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالأدلة العقلية والشرعية)"(١).

بذلك أجمل الفارابي في مدخل كتابه إحصاءه للعلوم وتصنيفها، فدَّل على ثمانية أنواع للعلوم، وجعلها في خمسة فصول، ثم أخذ في تفصيل هذه العلوم وبيان أجزائها وفق الترتيب الذي وضعه لها.

وهذا التصنيف للعلوم هو تطبيق لنظرية الفارابي في النفس الإنسانية وتحصيل سعادتها، فهو متضمن لهذا التصور العام في أقسام العلوم بين النظرية والعملية، ويقتضي أيضًا الغاية التعليمية من إحصاء العلوم لديه كما سيأتي البيان.

بدأ الفارابي بعلم اللسان وعلم المنطق لاعتبارهما مقدمة عامة لكل العلوم وآلة لها،

---

(١) إحصاء العلوم، الفارابي، مرجع سابق، ص٥٣.

ثم دلَّ على أقسام العلوم النظرية من الرياضيات والطبيعيات والإلهيات بترتيب تحصيلها للنفس الناطقة، وبها يحصل للإنسان إدراك الأمور التي ليس له من شأنه أن يفعلها، ثم ينتقل إلى جانب العلوم العملية التي هي من فعل الإنسان، فيأتي العلم المدني من السياسة والأخلاق وعلم الفقه، وما يستلزم نصرة هذه الآراء بواسطة علم الكلام.

فلا تخرج هذه المحاولة الإحصائية التصنيفية للعلوم عن التصور الفلسفي للفارابي في النفس الناطقة وانقسام المعارف بين النظرية والعملية، وهو تقسيم تابع فيه الفارابي أرسطو والفلسفة اليونانية، لكنه لم يحل دون إبداع الفيلسوف المسلم الذي يعيش هموم مجتمعه ويتمثل ثقافته، فتميز تصنيفه عن التصنيف اليوناني رغم اشتراكهما في الفكرة الفلسفية نفسها، فجعل الفارابي علم اللسان أساسًا لجميع العلوم، وأضاف العلوم الإسلامية من علم الفقه وعلم الكلام[(١)].

الغاية التعليمية من تصنيف العلوم لدى الفارابي:

لم تنفك الغاية التعليمية حاضرة في ذهن الفارابي خلال محاولته لتصنيف العلوم وإحصائها وترتيبها، بل هي غايةٌ تُمثِّل حجر الأساس والدافع الأول في محاولة الفارابي وفلسفته في تصنيف العلوم، وقد دلَّ عليها صراحة في مقدمة كتابه إحصاء العلوم؛ حيث يقول:

"ويُنتَفع بما في هذا الكتاب؛ لأنَّ الإنسان إذا أراد أن يتعلم علمًا من هذه العلوم وينظر فيه، علم على ماذا يُقدم وفي ماذا ينظر، وأي شيء سيفيد بنظره، وما غناء ذلك، وأيّ فضيلة تنال به؛ ليكون إقدامه على ما يُقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عمى وغَرَر"[(٢)].

يدلُّ الفارابي هنا على أن تصنيف العلوم هو من أهم الأسس الفلسفية المعرفية في

---

(١) انظر: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، د. محمد عبدالرحمن مرحبا، مرجع سابق، (١/ ٣٨٣)، ونظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، د. حامد طاهر، مرجع سابق، ص٤١٦.

(٢) إحصاء العلوم، الفارابي، مرجع سابق، ص٥٣، ٥٤.

العملية التعليمية وضرورة لازمة لها، فعملية تصنيف العلوم تمثل مدخلًا مهمًّا لعملية التعلم، بما تضعه من خريطة معرفية لطالب العلم، وتبصره بفائدة هذه العلوم وترتيبها وغاياتها والتدرج فيها وكيفية اكتسابها، فيكون إقباله على تعلمها عن إدراك صحيح لنظامها وتدرج في مراقيها(١)، وتحصيل جيد لثمرتها، وتحقيق كمال النفس الناطقة بواسطتها.

فبذلك كان تصنيف العلوم أساسًا ضروريًّا للعملية التعليمية لدى الفارابي، وكذلك لدى المدرسة المشائية بعامة؛ فقد دلَّ إخوان الصفا صراحة على هذا الهدف التعليمي وراء محاولتهم في تصنيف العلوم أيضًا؛ ففي مقدمة رسالتهم السابعة يكشفون عن هذا الغرض في عملهم بقولهم: "نريد أن نذكر أجناس العلوم، وأنواع تلك الأجناس، ليكون دليلاً لطالبي العلم إلى أغراضهم، وليهتدوا إلى مطلوباتهم؛ لأن رغبة النفوس في العلوم المختلفة وفنون الآداب، كشهوات الأجسام للأطعمة المختلفة الطعم واللون والرائحة"(٢).

فهذا الدافع التعليمي وراء تصنيف العلوم لدى الفلاسفة المسلمين دليل قوي على تكامل نظريتهم التعليمية، وقيام مبدأ تصنيف العلوم أساسًا فلسفيًّا مهمًّا في هذه النظرية.

كما أفصح الفارابي عن هدف تعليمي آخر وراء تصنيفه، وهو إكساب المتعلم القدرة

---

(١) وقد جرت عادة العلماء أيضًا بإيضاح هذه الغايات للعلوم عند استفتاحهم التأليف فيها وشرحها، فيقول ابن رشد في كتابه الضروري في صناعة النحو: "وينبغي أن نستفتح الفول بالأشياء التي جرت العادة أن تُستفتح بها كل صناعة يرام تعلمها على المجرى الصناعي، فإن الاستفتاح بها نافع في التعلم، وهي أن يخبر أولًا: ما غرض هذه الصناعة؟ وثانيًا: ما منفعتها؟ وثالثًا: ما أقسامها؟ ورابعًا: النحو المستعمل في تعليمها، والطرق المسلوكة في إثبات ما وضع فيها، أعني أنحاء الدلائل المستعملة فيها، فإن لكل صناعة ترتيبًا يخصها في تعلمها وأنحاء من الدلائل خاصة بتلك الصناعة، وخامسًا: مرتبتها من العلوم في التعلم، وسادسًا: نسبتها من سائر العلوم، أعني: في أي جنس من أجناس العلوم تعد، وسابعًا: ما يدل عليه اسمها، وثامنًا: معرفة من وضعها". الضروري في النحو، ابن رشد، تحقيق: د. منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٩٧.

(٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر – مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٥هـ، (١/ ٢٦٦).





على مقارنة العلوم وإدراك قيمتها متجاورة، ومعرفة الأولى فيها والأكثر نفعًا، وهذا مصداقًا لقوله: "وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يُقايس بين العلوم، فيعلم أيّها أفضل وأيّها أنفع وأيّها أتقن وأوثق وأقوى، وأيّها أوهن وأوهى وأضعف"(١).

فهذه غاية تعليمية أخرى لتصنيف العلوم لدى الفارابي؛ حيث يُمكِّن ذلك التصنيف المتعلمَ من إدراك قيمة أنواع العلوم وتبيُّن مناهجها وموضوعاتها، والمفاضلة بينها بطريق المقارنة والمقايسة، فيكون اختياره عن بصيرة بها وإدراك لما هو أنفع له.

فهذا الربط الوثيق لدى الفارابي بين محاولته في تصنيف العلوم وأبعادها التعليمية والتربوية ليدل بوضوح على أصالة تصنيف العلوم كأساس فلسفي للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، كما يدل على أن تأسيس هذا العلم من الإحصاء والتصنيف للعلوم في الحضارة الإسلامية كان راجعًا لإدراك العلماء الدقيق لدوره المهم في رصد حركة العلوم وتحصيلها وتقويمها وتطويرها(٢).

تعقيب:

يتبين من العرض السابق لتصنيف العلوم وترتيبها والغاية التعليمية منها في فلسفة الفارابي، أن هذه الغاية التعليمية كانت حاضرة بوضوح في هذه المحاولة الفلسفية لإحصاء العلوم وتصنيفها؛ مما يجعل من تصنيف العلوم مبدأ أساسيًّا عامًّا للنظرية التعليمية التربوية في الفلسفة الإسلامية، بل يتصل اتصالًا مباشرًا بعناصر هذه الفلسفة الوجودية والمعرفية والاجتماعية بعامة.

حيث تمثلت الغاية التعليمية من تصنيف العلوم لدى الفارابي في بلوغ الهدف الكلي من الفلسفة الفارابية وهو تحقيق الكمال الإنساني، وتنمية الفضائل العقلية والأخلاقية، وتوجيه الفرد نحو حياة سعيدة في المجتمع الفاضل.

---

(١) إحصاء العلوم، الفارابي، مرجع سابق، ص٥٤.

(٢) انظر: العلوم الإسلامية: مبادئها وتصنيفها، د. محمد صادق بوعلاق، ضمن: مجموعة مؤلفين، مناهج العلوم الإسلامية: أسس المعرفة الدينية وقضايا العلوم الإسلامية، مرجع سابق، (١/ ٢٢٣).





لقد هدف الفارابي من وراء تصنيف العلوم إلى ترتيب المعرفة بشكل يساعد المتعلمين على بناء إدراك متكامل ومنظم للعالم، والوصول إلى الحكمة كغاية عليا، وذلك ما نلمحه من خلال تحديد الأهداف التعليمية الآتية لمحاولته:

أولًا: تنظيم المعرفة وتبسيطها، عبر ترتيب العلوم في منهج تدريجي يبدأ بالبسيط والمحسوس وينتهي بالمجرد والمعقد؛ مما ييسر التعلم ويجعل المتعلم يدرك ترابط المعارف وتكاملها.

ثانيًا: تهيئة العقل للبحث الفلسفي، من خلال التدرج من العلوم اللغوية والمنطقية، التي تُعِدُّ الذهن للفهم والتحليل، إلى العلوم الرياضية والطبيعية التي تصقل قدراته الاستدلالية، تمهيدًا للعلوم الفلسفية العليا التي تُمكّن الإنسان من فهم المبادئ الكونية والعلل الأولى.

ثالثًا: تحقيق التوازن بين النظرية والتطبيق؛ إذ يقسم العلوم إلى نظرية تُعنى بالمعرفة المجردة، وعملية تُوجه السلوك نحو الفضيلة، محققًا بذلك التكامل بين التفكير العقلي والعمل الأخلاقي.

رابعًا: تجاوز البعد الفردي إلى البعد الاجتماعي، فالتعلم وسيلة لبناء مجتمع فاضل يسوده التعاون والعدل؛ إذ يشمل تصنيفه للعلوم السياسة والأخلاق اللتين تهدفان إلى تربية المواطن الصالح وتحقيق الخير العام.

خامسًا: تحصيل السعادة والكمال الإنساني؛ حيث تتمثل الغاية النهائية لتصنيف العلوم عند الفارابي في الوصول إلى "السعادة"، التي تتحقق عبر الترقي المعرفي والروحي حتى بلوغ الحكمة؛ إذ تمثل الفلسفة ذروة السلم التعليمي ووسيلة لبلوغ السعادة الدائمة.

وبذلك يتضح أن تصنيف الفارابي للعلوم ليس مجرد تقسيم أكاديمي، بل هو مشروع تربوي فلسفي شامل، يربط بين العلم والعمل، وبين الفرد والمجتمع، في سبيل تحقيق إنسان متكامل في فكره وخلقه وسلوكه.

وهكذا مثَّل مبدأ تصنيف العلوم والتدرج في اكتسابها أساسًا مهمًّا في النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، وهو قائم لديهم وفق نظرتهم للنفس الإنسانية وتنوع قواها، فتتحصل النفس الناطقة على كمالها المعرفي بتحصيل هذه العلوم بحسب ترتيبها.





المبحث الثالث
الأساس الفلسفي الاجتماعي (منهجية التعليم وأساليبه التفاعلية)

مدخل:

من الأسس الفلسفية التي شكَّلت النظرية التعليمية لدى الفلاسفة المسلمين ذلك الأساس الاجتماعي المتمثل في قيام العملية التعليمية، والتعليم التفاعلي بين المعلم والمتعلم، وهو مبدأ تعليمي مؤسَّس لديهم على تصورهم العام للنفس الإنسانية وكمال معرفتها النظرية، وعلى فكرهم المدني السياسي في إقامة مجتمع فاضل، فالعلم لديهم موجود في النفس بالقوة، ويخرج إلى الفعل بعملية التعليم والتأديب، وهو سبيل تحصيل الكمال والسعادة الإنسانية.

ويأتي هذا الأساس التعليمي متسقًا في النظرية التعليمية مع ما تقدَّم عليه من أسس فيها؛ فإذا كانت النفس الإنسانية مستعدَّة لقبول المعارف بحسب وجودها وطبيعتها، وكانت هذه العلوم مصنَّفة مرتَّبة بحسب هذا الاستعداد النفسي لتلقي المعارف، والترقي بها من البسيط للمركب، ومن المادي للمجرَّد، فإن طريق تحقق هذه الكمال إنما يكون بسبيل التعليم وأدواته التفاعلية ومنهجية التربية، فالتعليم التفاعلي هو أداة تحصيل النفس الناطقة كمالَها وقوتها المعرفية.

فما طبيعة هذا التعليم التفاعلي؟ وما أدواته وأساليبه في فلسفة الفارابي؟ وكيف شكَّل مبدأ عامًّا للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية تتصل بنظريتهم في النفس والمعرفة والسياسة المدنية؛ بحيث يتحقق للإنسان كماله الوجودي وسعادته الحقيقية؟ هذا ما نحاول طرحه فيما يأتي من خلال بسط فكرة الفارابي عن عملية التعليم.

١- عملية التعليم (التعليم والتأديب) في فلسفة الفارابي:

عملية التعليم في فلسفة الفارابي هي عملية مركبة متكاملة، تقوم على نقل المعرفة عمومًا، وتشمل في عناصرها عملية التأديب والتعليم على حدٍّ سواء، بحسب أنواع العلوم وطبيعتها من النظرية والعملية؛ فكلا التعليم والتأديب لدى الفارابي داخل في عملية متكاملة هي عملية التعليم، ولكن يختص كل منهما باكتساب نوع من أنواع العلوم، بحسب طبيعته





وسُبل تحصيله؛ ويكاد التعليم أن يُطلق بخصوصه لديه للعلوم النظرية وحدها التي تكون بسبيل المخاطبة، أما التأديب ومعه التلقين والتعويد فيكون لسائر العلوم العملية والصناعات التي تُكتسب بطريق الاحتذاء والتقليد.

نلحظ هذا المفهوم الشامل للعملية التعليمية لدى الفارابي في تعريفه للتعليم بقوله: "التعليم قد يقع على كلِّ فعل فعله الإنسان وقصد به إلى أن يحصل به لآخر علم شيء ما، أو قصد به إلى أن يحصل به لآخر ملكة اعتيادية يصدر عنها فعل ما... وكذلك متى يفعل الإنسان فعلًا ليَحتذي به غيره ويفعل مثل فعله مرارًا لتحصل له ملكة ما: قيل إنه تعليم"(١).

فهذا مفهوم عام لعملية التعليم من حيثية نقل المعرفة وحصول العلم دون تفرقة في طبيعة العلوم وسُبل تحصيلها؛ ولذلك يكون التأديب والتعويد والتلقين معدودًا في عملية التعليم من هذا المدخل، ففي مفهوم التلقين وأصنافه يقول الفارابي: "وكذلك التلقين قد يسمى تعليمًا، والتلقين صنفان؛ أحدهما: أن يتلفظ القائل بلفظ يقصد به أن يتلفظ السامع بذلك اللفظ بعينه مرارًا كثيرة ليحصل له حفظ اللفظ نفسه، وذلك مثل تلقين اللغة والأغاني، وهو داخل في تعليم الاحتذاء، والصنف الثاني: أن يقصد به مع ذلك أن ترتسم معاني تلك الألفاظ في نفس السامع، وقد يفعل أيضًا أفعالًا سوى اللفظ تحصل عنها العلوم، فتسمَّى تعليمًا، مثل: الإشارة، وكذلك قد نكتب، فتكون الكتابة تعليمًا"(٢).

وبذلك فإن كل طريقة لنقل المعرفة وحصول العلم في نفس المتعلم هي من باب التعليم وداخلة ضرورة في العملية التعليمية، سواء أكان مادة العلم نظرية أم عملية.

وتأصيلًا لهذه الرؤية فإن الفارابي يُفرِّق في عملية التعليم بين صنفين: "تعليم يحصل عنه ملكة يصدر عنها فعل، وتعليم يحصل عنه علم أو ملكة علم فقط؛ والتعليم الذي يحصل عنه ملكة فعل فهو إما تعليم باحتذاء، وإما بمخاطبة، أو يقوم مقام المخاطبة من

(١) المنطق عند الفارابي (كتاب البرهان)، الفارابي، تحقيق: ماجد فخري، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٧م، (٤/٧٧، ٧٨).
(٢) المرجع السابق، (٤/٧٨).





إشارة أو كتابة، والمخاطبة هي صفة الفعل الذي ينبغي أن يفعله السامع حتى تحصل له ملكة، والمقصود به ليس أن يحصل علم فقط، لكن أن تحصل ملكة يصدر عنها فعل"(١).

وهنا يصرف الفارابي مسمى التعليم -بمعناه الضيق- لما يحصل عنه معرفة نظرية فقط قائمة على الفهم الذهني دون حصول ملكة تستتبع عملًا، وأما طُرق نقل المعرفة الأخرى التي يلزم عنها عمل أو اكتساب ملكة صناعية، فالأحرى بها أن تُسمَّى بأسماء أُخر غير التعليم، كالتأديب والتعويد والتلقين، فيقول: "التعليم الذي يحصل عنه علم، فإن هذا هو أحرى أن يسمى تعليمًا، وأما تلك الأُخَر فإن بعضها تُسمَّى الرياضة، وبعضها ليس له اسم، أما الأخلاقي منها فإنه أحرى أن يُسمَّى تأديبًا من أن يُسمى تعليمًا"(٢).

وبناء على ذلك يسوق الفارابي في كتاب (تحصيل السعادة) تمييزًا واضحًا بين التعليم والتأديب في العملية التعليمية، بحسب الغرض منهما وما يُستعملان فيه من اكتساب أنواع العلوم والفنون والصناعات، وبيان خطأ استعمالهما مترادفين؛ وذلك تأسيسًا على المدخل النفسي والأخلاقي لعملية التعليم عند الفارابي، فالتعليم لديه انتقال المعرفة المجردة وتحصيل ملكة الفهم للإنسان، وأما التأديب فهو تعويد وتلقين للملكات العملية، وتغذية الخصال المؤدية للفعل، فبالتعليم تحصل الفضائل النظرية وبالتأديب تحصل الفضائل العملية والأخلاق، فيقول: "التعليم: هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب: هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم. والتعليم هو بقول فقط، والتأديب هو أن تُعوَّد الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العملية، وبأن تنهض عزائمهم نحو فعلها، وأن تصير تلك وأفعالها مسؤولية على نفوسهم، ويُجعلوا كالعاشقين لها. وإنهاض العزائم نحو فعل الشيء ربما كان بقول وربما كان بفعل"(٣).

وبذلك يكون الفارابي قد أوضح صورة شاملة عن العملية التعليمية التي تتكامل فيها أنواع العلوم وشتى المعارف، وتتنوع فيها أساليب تقديم هذه المعارف من أنواع التعليم

---

(١) المنطق عند الفارابي (كتاب البرهان)، مرجع سابق، (٤/٧٨).

(٢) المرجع السابق، (٤/٧٨).

(٣) تحصيل السعادة، الفارابي، مرجع سابق، ص٧١.





والتأديب والتعويد والتلقين، بما يكتمل معه اكتساب العلوم النظرية والعملية على السواء، وإقامة مجتمع مدني فاضل، وبذلك يأتي تصور العملية التعليمية موافقًا لتصور الفارابي والفلسفة الإسلامية بعامة عن طبيعة النفس الإنسانية وقواها النظرية والعملية، وموافقة لنظريتهم في تصنيف العلوم.

ثم ينطلق الفارابي من هذا التصور الشامل للعملية التعليمية في فلسفته إلى بيان الأساليب التي تتم بها عملية التعليم واكتساب المعارف بحسب تنوُّعِيِّة هذه العلوم وتراتبها، والتي يميزها ذلك الملح التفاعلي في التعليم والتأديب بما يلزم عنهما من تحصيل الفضائل النظرية والفضائل الخلقية، وقيام مجتمع مدني فاضل، وكذلك ما يخصه الفارابي من عناية خاصة بتعليم الفلسفة وتمييزها بنهج خاص في الاكتساب والتعليم.

٢- طرق التعليم (التفاعلية) لدى الفارابي:

من خلال التحديد السابق للعملية التعليمية ينتقل الفارابي إلى بيان **طرق التعليم** والتأديب، فيوضح أن التعليم قد يكون بطريقة السماع، فيكون نقل العلم بالأقوال، وقد يكون بطريقة الاحتذاء وهي طريقة التعليم التفاعلي بين المعلم وطلابه، بحيث ينتقل العلم بأن "يرى المتعلمُ المعلمَ بحال ما في فعل أو غيره، فيتشبَّه به في ذلك الشيء أو يفعل مثل فعله، فيحصل للمتعلم القوة على ذلك الشيء أو الفعل"(١).

يدلُّ الفارابي هنا على أن عملية التعليم في عموميتها تتم بهذين السبيلين: من طريقة السماع أو المخاطبة، وطريقة الاحتذاء؛ فيكون السماع بما يسمعه المتعلم من معلمه وأقواله والمخاطبة بينهما، وهي طريقة عامة في التعلم، وتغلب في تعلم العلوم النظرية القائمة على الفهم، وتكون طريقة المخاطبة من خلال تشبُّه المتعلم بأفعال معلمه وأقواله حتى تحصل له قوة هذا الفعل، وتغلب هذه الطريقة في تعلم الصناعات والملكات العملية والأخلاق، فهي أدخل في باب التأديب، وقد تجتمع الطريقتان في العلم القولي والعلم العملي على السواء(٢).

---

(١) كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص٨٦.

(٢) انظر: المنطق عند الفارابي (كتاب البرهان)، الفارابي، مرجع سابق، (٧٨/٤، ٧٩)، وكتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، مرجع سابق، ص٨٦.





٣- خطوات التعليم وأهدافه لدى الفارابي:

ثم يأخذ الفارابي في التحديد الدقيق للأهداف والخطوات أو **المراحل التي تتم بها عملية التعليم** وفق سبيل السماع والمخاطبة أو الاحتذاء، فيكون ذلك **أولًا: بطريق التفهيم**، الذي يكون بتعقل ذات المفهومات أو بتخيلها بأمثلتها، ثم **ثانيًا: بطريق التصديق** لما فُهم، الذي يكون بطريق البرهان اليقيني أو الإقناع التخييلي، ثم يأتي من وراء ذلك خطوة أخيرة **ثالثًا: بحفظ هذا العلم** واستقراره في نفس المتعلم.

ففي إيضاح هذه المراحل التعليمية يقول الفارابي: "وكلُّ شيء شأنه أن يُتعلم بقول؛ فإنه يلزم ضرورة أن يكون للمتعلم من ذلك الشيء أحوال ثلاثة: أحدها: أن يتصور ذلك الشيء ويفهم معنى ما سمعه من المعلم، وهو المعنى الذي قصده المعلم بالقول. والثاني: أن يقع له التصديق بوجود ما تصوّره أو فهمه عن لفظ المعلم. والثالث: حفظ ما قد تصوّره ووقع له التصديق به. وهذه الثلاثة هي التي لا بد منها في كل شيء يُتعلَّم بقول"(١).

وكذلك يدلُّ الفارابي على **أَضْرُب التعليم** التي تكون بها المرحلتان الأوليان في العملية التعليمية بقوله: "كل تعليم فهو يلتئم بشيئين: الأول: بتفهيم ذلك الشيء الذي يُتعلَّم وإقامة معناه في النفس، ثم: بإيقاع التصديق بما فُهِم وأُقيم معناه في النفس؛ وتفهيم الشيء على ضربين: أحدهما: أن تُعقل ذاته، والثاني: بأن يُتخيل بمثاله الذي يحاكيه. وإيقاع التصديق يكون بأحد طريقين: إما بطريق البرهان اليقيني، وإما بطريق الإقناع"(٢).

تلك هي المراحل التي تتم بها عملية التعليم لدى الفارابي، متسلسلًا من التفهيم إلى التصديق ثم الحفظ، وهو يميز بين ضربين في الفهم وكذلك في التصديق، بحسب حال المتلقي؛ فإن الطريق الأول -الذي هو بفهم ذات الشيء والتصديق البرهاني اليقيني به- فهو للخاصة، والعلم المتحصل بها هو الفلسفة الحقيقية، والثاني -الذي هو بالتخيل

---

(١) كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٦، ٨٧.

(٢) تحصيل السعادة، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٨.





والتصديق الإقناعي- فهو للجمهور والعامة، والعلم المتحصل به هو الملة أو الفلسفة البرانية[١].

٤- أدوات التعليم وأساليبه لدى الفارابي (أنحاء التعليم):

ينتقل الفارابي من بيان هذه المراحل التعليمية وأهداف التعليم إلى بيان **الأساليب التعليمية** التي تساعد على جعل عملية التعليم سهلة ميسورة وتحقق هدفها من تحصيل العلم، كما يوجه نظر المعلم إلى ضرورة استعمال هذه الوسائل والأساليب، وجعل عملية التعليم في مراحلها الثلاث أكثر يُسرًا وسهولة على المتعلم، وهذه الأساليب هي ما أطلق عليها الفارابي اسم (أنحاء التعليم)، التي تختلف بحسب الأمور التي تُستعمل في التعليم واختلاف جهات استعمالها.

فيقول الفارابي: "والمعلم فإنما ينبغي أن ينحو أبدًا نحو أن يُحصِّل للمتعلم هذه الثلاثة -أي مراحل التعليم- بالجهات التي يكون تحصيلها أسهل إمكانًا، وأن يكون الذي يحصل على أجود ما يمكن أن يحصل. وجهات التعليم التي تستعمل في تحصيل هذه الثلاثة تُسمَّى "أنحاء التعليم"، وأنحاء التعليم تختلف بحسب اختلاف الأمور التي تُستعمل في التعليم، وبحسب اختلاف جهات استعمال كثير من تلك الأمور عند التعليم"[٢].

يُركز الفارابي هنا على تفاعلية العملية التعليمية، وبيان الدور التفاعلي للمعلم فيها مع التلاميذ في كافة مراحل هذه العملية، فيقع على عاتق المعلم أن يُقدم المعرفة الجديدة للتلاميذ بنوع من الإيضاح الشديد وتيسير فهمها بكافة أنحاء التعليم وأساليبه التفاعلية؛ كالتعريف والتصنيف والمقابلة والتقسيم والتمثيل والاستقراء والقياس والمشاهدة؛ فهذه كلها تساعد على تيسير التعليم وتحصيل الفهم الجيد للمعلومات لدى التلاميذ، وعلى التلاميذ

(١) انظر: تحصيل السعادة، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٨، ٨٩. وقارن: كتاب الحروف، الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٥٢، وراجع: منهج تعليم الفلسفة في رأي الفارابي، د. شفيعة بليلي، بحث منشور بمجلة حوليات جامعة الجزائر ١، العدد ٣١، ج٤، ٢٠١٧، ص٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٧.





تفهُّم هذه المعاني في نفوسهم جيدًا على أجود ما يكون الفهم، والتصديق بها على أجود مراتب التصديق من البرهان اليقيني، ثم ما يستتبع ذلك من حفظ هذه المعاني والعمل بها(١).

ثم يفصل الفارابي القول في هذه الأساليب التعليمية (أنحاء التعليم) التي تُستعمل في تقديم المعرفة وتيسيرها بحسب مراحل العملية التعليمية بعد أن أوجزها بقوله: "والأمور التي تُستعمل إنما يُنحى بها نحو تلك الأحوال الثلاثة التي ينبغي أن تحصل للمتعلم في الشيء الذي يتعلمه، وهذه الأمور كثيرة؛ منها:

- استعمال الألفاظ الدالة على الشيء، وحد الشيء، وأجزاء حده، وجزئياته وكلياته، ورسوم الشيء، وخواصه، وأعراضه، وشبيه الشيء، ومقابله، والقسمة، والمثال، والاستقراء، والقياس، ووضع الشيء بحذاء العين.

وهذه كلها ما عدا القياس فتنفع في تسهيل الفهم والتصور، وأما القياس فإن شأنه أن يوقع التصديق بالشيء فقط، والذي قصدنا أن يقع به التصديق ينبغي أن يتصور قبل ذلك على الكفاية ثم يطلب التصديق به، فإن علم صدقه بنفسه لم يحتج إلى القياس، وإن لم يعلم بنفسه استعمل القياس في تبيين صدقه.

وجميع هذه قد تنفع في سهولة حفظ الشيء، والاستقراء والمثال من بينها ينفعان في الثلاثة بأسرها؛ أعني: أن فهم الشيء يسهل بهما، والتصديق أيضًا قد يقع بهما، وينفعان في سهولة الحفظ، وسائر هذه الأمور -ما عدا المثال والاستقراء والقياس- فإنها ليس شأنها أن توقع التصديق، لكنها تنفع في سهولة الفهم، وفي سهولة الحفظ فقط"(٢).

يتبين من هذا النص الدقيق الموجز لأساليب التعليم مجمل العملية التعليمية في فلسفة الفارابي، والدور التفاعلي فيها؛ لكي يكون التعليم على أكمل صورة ويحقق الغاية منه؛ إذ يدلُّ الفارابي على الأدوات والأساليب التي تُستخدم لتوصيل المعرفة إلى المتعلم، بعد أن وضع ثلاثة أهداف رئيسية للعملية التعليمية؛ هي: الفهم، والتصديق، والحفظ؛

(١) انظر: كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٧: ٩٤. وآراء العلماء المسلمين القدماء في نظرية التربية، سيبستيان غونتر، مرجع سابق، ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، مرجع سابق، ص٨٧، ٨٨.





حيث إن **الفهم:** يتعلق بتصور الشيء بشكل واضح ومتكامل، و**التصديق:** يتعلق بالتأكد من صحة الشيء أو الحكم عليه بأنه صحيح، **والحفظ:** يتعلق بتذكر الشيء واسترجاعه عند الحاجة.

ثم يقدِّم الفارابي في النص المتقدم تصورًا دقيقًا لآليات التعليم وأدواته، التي تُستخدم لتيسير التعليم وتحصيله متكاملًا محققًا لأهدافه الثلاثة المتقدمة، ونلاحظ أن هذه الأدوات تنقسم لديه إلى قسمين رئيسيين: فمنها أدوات تساعد في الفهم والتصور، وأدوات تساعد في التصديق.

ففي جانب **الفهم والتصوّر**، يحدّد الفارابي جملة من الأدوات المعرفية التي تساعد على استيعاب المفاهيم، مثل: الألفاظ الدالة على الأشياء، وحدودها وأجزائها، ورسومها وخواصها، إضافة إلى المقارنة بين الشيء ونقيضه أو مثيله، وتقسيم المفاهيم، واستخدام الأمثلة الحسية؛ فهذه الوسائل جميعها تهدف إلى تكوين تصوُّر واضح وشامل للموضوع في ذهن المتعلِّم.

أما في جانب **التصديق**، فيشير إلى استخدام أدوات مثل القياس والاستقراء والمثال؛ إذ تُعين على إثبات صدق المفاهيم واستنباط الكليات من الجزئيات. ويؤكد الفارابي أنَّ القياس وسيلة خاصة لإثبات الحقائق، ولا يُلجأ إليه إلا عند الحاجة، بينما يمكن للمثال والاستقراء أن يساهما في تعزيز الفهم والتصديق معًا.

ويُبرز الفارابي العلاقة الجدلية بين الأهداف التعليمية الثلاثة، موضحًا أنَّ الفهم هو الأساس الذي يُبنى عليه التصديق، وأن كمال الحفظ مرهون بعمق الفهم وصدق التصديق، فكل مرحلة تُمهِّد للأخرى في تدرجٍ منطقيٍّ متكامل، يجعل التعليم عملية ترابطية متصاعدة نحو الكمال العقلي.

وتكشف هذه الرؤية عن عمق منهج الفارابي في التعليم؛ إذ يجمع بين الشمولية والتدرُّج والتفاعل، ويؤكد مرونة الأساليب التعليمية وفق غاياتها؛ فالمعلم والمتعلم شريكان في إنتاج المعرفة، لا ناقل ومتلقٍّ، والتعليم عنده عملية عقلية وأخلاقية منظَّمة تهدف إلى تكوين إنسانٍ كاملٍ في فهمه وتصديقه وعمله، وصولًا إلى السعادة الإنسانية والمدينة الفاضلة.





٥- خصوصية تعليم الفلسفة وأهم شروطه:

لمَّا كان تحصيل الفلسفة يمثل حجر الزاوية في المشروع الفكري للفارابي؛ حيث مثَّلت لديه الغاية العظمى لبلوغ الكمال الإنساني، وتحقيق السعادة المدنية وإقامة المجتمع الفاضل، وتحصلت فيها جميع المعارف والعلوم بشقيها النظري والعملي، ولمَّا كان مسلكه في إحصاء العلوم وترتيبها هدفًا منه لبلوغ منزلة الحكمة الفلسفية والتلقي للمعارف العلوية الفائضة عن العقول السماوية بكمال القوة النظرية- لمَّا كان ذلك فإن الفارابي قد اختصَّ تعليم الفلسفة بنهج مستقل وبيان خاص.

فقد أفرد الفارابي لهذا الغرض رسالة مستقلة تناولت موضوع تعلم الفلسفة، وهي رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، في هذه الرسالة استعرض الأمور التي ينبغي تعلمها وفهمها قبل الشروع في دراسة الفلسفة المستمدة من أرسطو والتيارات الفلسفية بشكل عام، كما وضع تسعة شروط أساسية اعتبرها ضرورية لكل من يسعى إلى تعلم الفلسفة واتباع منهجها[(١)].

أجمل الفارابي ذكر هذه الشروط التسعة لطالب تعلم الفلسفة بعامة، وفلسفة أرسطو منها بالخصوص، قبل تفصيلها في رسالته[(٢)]، والذي يعنينا من هذه الشروط في هذا

---

(١) انظر: الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، الفارابي، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٢) وذلك بقوله: "الأشياء التي يُحتاج إلى تعلُّمها ومعرفتها قبل تعلم الفلسفة التي أُخذت عن أرسطو فهي تسعة أشياء: الأول منها: أسماء الفِرق التي كانت في الفلسفة. والثاني: معرفة غرضه في كل واحد من كتبه. والثالث: المعرفة بالعلم الذي ينبغي أن يُبدأ به في تعلم الفلسفة. والرابع: معرفة الغاية التي يُقصد إليها تعلُّم الفلسفة. والخامس: معرفة السبيل التي يسلكها من أراد الفلسفة. والسادس: المعرفة بنوع كلام أرسطو كيف يستعمله في كل واحد من كتبه. والسابع: معرفة السبب الذي دعا أرسطو إلى استعمال الإغماض في كتبه. والثامن: معرفة الحال التي يجب أن يكون عليها الرجل الذي يُؤخذ عنه علم الفلسفة. والتاسع: الأشياء التي يحتاج إليها من أراد تعلم كتب أرسطو". الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، ص٢٣٤.





الصدد تلك الشروط التي تمس العملية التعليمية والمنهجية التربوية في فكر الفارابي والمدرسة المشائية بعامة؛ حيث يتأكد فيها تلك الأسس الفلسفية لنظريتهم التعليمية، القائمة على المبادئ الأخلاقية والمعرفية والاجتماعية، وهي تلك الشروط الأربعة الموضوعة لتعلم الفلسفة بعامة، وهي:

- المعرفة بالعلم الذي ينبغي أن يُبدأ به في تعلم الفلسفة.
- معرفة الغاية التي يُقصد إليها تعلُّم الفلسفة.
- معرفة السبيل التي يسلكها من أراد الفلسفة.
- معرفة الحال التي يجب أن يكون عليها الرجل الذي يُؤخذ عنه علم الفلسفة.

وضع الفارابي في هذه الشروط الأربعة بخاصة منهجية تعليمية تربوية لتعلم الفلسفة، فحدَّد أولًا العلم الذي ينبغي على من يرغب في تعلم الفلسفة أن يبدأ به لكي يتمكن من تحصيل الفلسفة، ثم بيان الغاية التي يهدف إليها تعلم الفلسفة، حتى يكون متعلمها مقدِّرًا لعظم الغاية المتحصلة من تعلمه لها؛ فيقوى عزمه عليها، وهي **غاية تربوية أصيلة**، ثم بيان سبيل تعلم الفلسفة؛ وهو المنهج الذي يسلكه طالب هذا العلم، وهو سبيل يتحصل بالعمل والجد وتهذيب الأخلاق وتحقيق الفضائل العملية والنظرية، وهو **مبدأ أخلاقي** نفسي أصيل في العملية التعليمية، فيتأسس على صلاح أخلاق النفس قوتها الناطقة وإدراكها النظري فتتدرج منه لتحصيل كمالها النظري، ثم الحال الذي يكون عليه متعلم الفلسفة ومعلمها، وهي تلك الهيئات الأخلاقية والبدنية والعقلية التي يكون عليها متعلم الفلسفة، والتي تؤهله لبلوغ هذه الغاية العالية، وهي تنطوي على **آداب أخلاقية** وملكات نفسية، تَلزم لحامل هذا العلم النفيس وطالبه.

ويمكن بيان هذه الشروط في فلسفة الفارابي على النحو الآتي:

الشرط الأول: العلم الذي يُبدأ به قبل تعلم الفلسفة:

عرض الفارابي لآراء الفلاسفة والمفكرين من قبله وأقوالهم في العلم الذي ينبغي تعلمه قبل تعلم الفلسفة، كعلم الهندسة، أو علم تهذيب الأخلاق، أو علم الطبائع، أو علم

المنطق، ثم يُعلق الفارابي على هذه الأقوال ببيان رأيه الفلسفي الذي تتأسس عليه النظرية التعليمية في الفلسفة المشائية بعامة، بقيامها على مبادئ الأخلاق والمعرفة والاجتماع، فيقول:

"وليس ينبغي أن يُرذَل واحد من هذه الآراء؛ وذلك أنه ينبغي قبل الدرس لعلم الفلسفة أن تصلح أخلاق النفس الشهوانية، كيما تكون الشهوة للفضيلة فقط التي هي بالحقيقة فقيلة فقط، لا التي تتوهم أنها كذلك، أعني: اللذة والمحبة والغلبة؛ وذلك يكون بإصلاح الأخلاق لا بالقول فقط لكن بالأفعال أيضًا، ثم يصلح بعد ذلك النفس الناطقة؛ كيما تفهم منها طريق الحق الذي يؤمن معها الغلط والوقوع في الباطل، وذلك يكون بالارتياض في علم البرهان، والبرهان على ضربين: منه هندسي ومنه منطقي، وكذلك ينبغي أن يؤخذ أولًا من علم الهندسة مقدار ما يحتاج في الارتياض في البراهين الهندسية ثم يرتاض بعد ذلك في علم المنطق"(١).

فهذه الرؤية الفلسفية للفارابي، وإن بدا فيها توجهه التوفيقي لآراء الفلاسفة المتقدمين عليه، إلا أنها في الوقت ذاته تُبرز أصالة فكر الفارابي، وتنسلك في سياق مشروعه الفلسفي بعامة، وترسم معالم نظريته التعليمية المؤسسة على مبادئ فلسفته في النفس والمعرفة والاجتماع.

فيرى الفارابي أن تعلم الفلسفة لا يكون صحيحًا إلا بعد إعداد المتعلم نفسيًّا وعقليًّا، ومرانه على منهج البرهان، مؤكدًا أن الطريق إلى الفلسفة يمرُّ بثلاث مراحل مترابطة: إصلاح النفس الشهوانية، وإعداد النفس الناطقة، والارتياض في علم البرهان.

ففي المرحلة الأولى، يبدأ التهيؤ الفلسفي بإصلاح النفس الشهوانية؛ إذ يجب تهذيب الغرائز والرغبات التي قد تُضلِّل الإنسان عن الفضيلة والحقيقة؛ فطلب الفلسفة يتطلب نفسًا متحررة من شهوات اللذة والغلبة، موجَّهة نحو حب الخير والعدل والحق، وهذا

---

(١) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، الفارابي، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، مرجع سابق، ص٢٤٠، ٢٤١.





الإصلاح ليس نظريًّا فحسب، بل عملي يُترجم بالأفعال والسلوك؛ لأن الغاية من الفلسفة عند الفارابي ليست المعرفة المجردة، بل تهذيب السلوك الإنساني وتحقيق الكمال الأخلاقي.

أما إصلاح النفس الناطقة فيتحقق بتدريب العقل على التمييز بين الصواب والباطل، عبر التمرن في البرهان العقلي الذي يصون الفكر من الخطأ والوهم، ويرى الفارابي أن هذا البرهان نوعان: هندسي ومنطقي؛ فالبرهان الهندسي يدرِّب العقل على الدقة واليقين من خلال التجربة الحسية الرياضية؛ لذا ينبغي البدء به أولًا، أما المنطقي فيعتمد على التفكير المجرد واستنباط النتائج من المقدمات، وهو الأداة النهائية لتنظيم الفكر الفلسفي.

وبهذا التدرج المنهجي، يؤسس الفارابي لنظرية تعليمية فلسفية متكاملة تربط الأخلاق بالمعرفة، وتجمع بين تهذيب النفس وتدريب العقل، فالفلسفة عنده ليست تأملًا ذهنيًّا خالصًا، بل مشروع تربوي إنساني يهدف إلى بلوغ الحقيقة والكمال العقلي عبر تدرجٍ تعليمي يقوم على البرهان والفضيلة.

الشرط الثاني: الغاية التي يقصدها رجل الفلسفة:

ينبه الفارابي في هذا الشرط إلى ضرورة إدراك الغاية التي يقصد إليها تعلم الفلسفة وتصورها جيدًا؛ تحقيقًا لثمرة التعليم الفلسفي، وما يجب على الفيلسوف عمله تحصيلًا لهذه الغاية، وذلك بقوله: "وأما الغاية التي يقصد إليها في تعلم الفلسفة، فهي: معرفة الخالق تعالى، وإنه واحد غير متحرك، وإنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء، وإنه المرتِّب لهذا العالم بجوده وحكمته وعدله، وأما الأعمال التي يعملها الفيلسوف فهي التشبه بالخالق بمقدار طاقة الإنسان"(١).

يدلُّ الفارابي هنا على الغاية السامية النهائية وراء تعلم الفلسفة، وهي الوصول إلى معرفة الخالق معرفةً دقيقةً؛ باعتباره العلة الأولى والمبدأ الذي يستند إليه الوجود كله، ومن ثم التشبه به في أفعاله وصفاته بقدر استطاعة الإنسان؛ فالفلسفة عنده ليست غاية

(١) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، الفارابي، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، مرجع سابق، ص٢٤١.





في ذاتها، بل طريق يقود إلى معرفة الحق الأعلى وتحقيق الكمال الإنساني في جانبيه النظري والعملي.

وفي هذا الشرط تتجلى معالم النظرية التربوية لدى الفارابي أيضًا، من خلال تبنيه لمبدأ (التوجه نحو الغاية والهدف) في التعليم الفلسفي، فبيان الغاية وراء التعلم تمثل أكبر دافع له في طلب العلم واستمرارية التعلم(١)، كما يتجلى فيه المنظور الفلسفي العميق للفارابي، الذي يمزج بين الميتافيزيقا والأخلاق العملية؛ حيث لا يكتفي الفيلسوف بالبحث عن الحقيقة النظرية، بل يسعى إلى تطبيقها في حياته العملية بالتشبه بالخالق في الجود والحكمة والعدل بقدر استطاعته.

وهي غاية عظمى يضعها الفارابي وراء تعلم الفلسفة، فبتحصيلها يتحقق الكمال الإنساني في قوتيه النظرية والعملية، وتتحصل به سعادة الإنسان الدائمة.

فالمتعلم لا يبلغ ثمرة التعليم الفلسفي ما لم يدرك المقصد الأسمى منه، وهو الوصول إلى الحقيقة الإلهية عن طريق البرهان والعقل، لا عبر التقليد أو الخطابة؛ ومن ثمَّ، يغدو التعلم الفلسفي عملية ترقية للنفس، تتجاوز المعرفة المجردة إلى العمل الفاضل والتخلُّق بصفات الخير والحكمة والعدل.

وبذلك يربط الفارابي بين المعرفة، والأخلاق، والعمل في بناء نظريته التعليمية، فيجعل من الفلسفة مشروعًا تربويًّا شاملًا يهدف إلى ترقية العقل وتهذيب النفس، حتى يغدو الإنسان مرآةً تعكس النظام الإلهي في الوجود، ويتحقق له الكمال والسعادة الدائمة.

الشرط الثالث: السبيل الذي ينبغي أن يسلكها من أراد تعلم الفلسفة:

في هذا الشرط يدلُّ الفارابي على سبيل تعلم الفلسفة، والمنهج الذي ينبغي أن يسلكه دارس الفلسفة لتحقيق غايتها النبيلة بتحقيق كمال المعرفة النظرية والعملية؛ وذلك إنما يتحصل لطالب الفلسفة بملازمة العمل على تهذيب أخلاقه وإصلاح نفسه الناطقة، من خلال الأخذ بمبادئ العلم والتدرج فيه وبلوغ غايته، فيقول:

(١) انظر: نظريات التعلم: دراسة مقارنة، د. مصطفى ناصف، مرجع سابق، ص٣٠.

"وأما السبيل الذي ينبغي أن يسلكها من أراد تعلم الفلسفة، فهي: القصد إلى الأعمال وبلوغ الغاية، والقصد إلى الأعمال يكون بالعلم؛ وذلك أنَّ تمام العلم العمل، وبلوغ الغاية في العلم لا يكون إلا بمعرفة الطبائع لأنها أقرب إلى فهمنا، ثم بعد ذلك الهندسة، وأما بلوغ الغاية في العمل فيكون أولاً بإصلاح الإنسان نفسه، ثم بإصلاح غيره ممن في منزله أو في مدينته"(١).

يضع الفارابي منهجًا لبلوغ غاية التعليم الفلسفي، مؤسسًا على تهذيب أخلاق النفس الإنسانية وتدرجها في العلم والمعرفة، بلوغًا لكمال العلم والعمل، فالفلسفة ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي مشروع عملي أخلاقي يهدف إلى إصلاح النفس والمجتمع.

ففي منهج تعلُّم الفلسفة، يرى الفارابي أن من أراد تعلم الفلسفة يجب أن يحدد غاية واضحة يسعى إليها، وهذه الغاية ليست مجرد التأمل النظري، بل هي الوصول إلى الغايات العملية التي تحقق الكمال الإنساني، فالعلم لا يكتمل إلا بالعمل.

ثم يُشير الفارابي إلى أن بلوغ الغاية في العلم –الذي يُقدَّم لتعلم الفلسفة– لا تتحقق إلا بتدرج في تلقي هذه المعارف، ومنهج جيد في ترتيبها؛ حيث يكون الانتقال فيها من المحسوس الأقرب للذهن إلى المجرد والأبعد بلوغًا إلى الميتافيزيقا.

فينطلق الفارابي من تصور متكامل للمنهج الفلسفي يقوم على التدرج في المعرفة؛ فيرى أن المتعلم يبدأ بدراسة علم الطبائع (الفيزياء)؛ لأنه الأقرب إلى إدراك الإنسان الحسي والعقلي، يليه علم الهندسة الذي يُدرِّب العقل على الدقة واليقين، ويعوِّده على الاستدلال البرهاني؛ فبهذا التدرج يرتقي الذهن من إدراك الجزئيات إلى المفاهيم الكلية التي تقوده إلى الفلسفة العليا.

ثم من وراء بلوغ غاية العلم تأتي ضرورة بلوغ الغاية في العمل، فيُبيِّن الفارابي أن الغاية العملية من الفلسفة هي إصلاح الإنسان والمجتمع، ويبدأ هذا الإصلاح على

(١) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، الفارابي، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، مرجع سابق، ص٢٤١.





مستويين: إصلاح النفس أولًا، ثم إصلاح المجتمع؛ فالفيلسوف الحق هو من يُهذب نفسه بتحصيل الفضائل، مثل الحكمة والعدالة والشجاعة وسائر الفضائل، وبعد إصلاح ذاته ينتقل إلى إصلاح غيره من أهل بيته أو مجتمعه، فيسهم في إقامة المدينة الفاضلة التي تنسجم فيها الأخلاق مع الحكمة النظرية.

وبذلك تتجلَّى وحدة الفكر التربوي عند الفارابي، حيث تتكامل الأخلاق والمعرفة والاجتماع في مشروع تربوي فلسفي يجعل من الفلسفة سبيلًا لتكميل الإنسان علمًا وعملًا، وإرساء أسس الإصلاح الفردي والاجتماعي على منهج عقلاني متدرج نحو الكمال الإنساني.

الشرط الرابع: الحال الذي يجب أن يكون عليها رجل الفلسفة:

في هذا الشرط من شروط تعلم الفلسفة يصوغ الفارابي فكرته التربوية في العملية التعليمية بعامة، فيدل على الصفات التي يجب أن يكون عليها المعلم والمتعلم، والمبادئ الأخلاقية والمعرفية التي يجب أن تحكم العملية التعليمية، فيقول:

"وأما **الحال** التي يجب أن يكون عليها الرجل الذي يؤخذ عنه علم أرسطو فهي: أن يكون في نفسه ما قد تقدَّم، وأصلح الأخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط لا للذة، وأصلح من ذلك قوة النفس الناطقة؛ كيما تكون إرادته صحيحة. وأما **قياس أرسطو** فينبغي أن لا تكون محبَّته له في حدٍّ يُحركه ذلك أن يختاره على الحق، وأن لا يكون له مبغضًا فيدعوه ذلك إلى تكذيبه. وأما **قياس المعلِّم** فينبغي أن لا يُظهر تسلُّطًا شديدًا أو اتضاعًا مفرطًا؛ فإن التسلُّط الشديد يدعو المتعلم إلى بغضه لمعلمه، وما يأخذه من المعلم بالتواضع المفرط يدعوه إلى الاستخفاف به والتكاسل عنه وعن علمه. وأما الحاجة إلى شدة حرصه ودوامه، فلأنه قد قيل: (إن قطر الماء بدوامه قد يثقب الحجر)، وأما قلة التشاغل بغير العلم، فلأن كثرة التشاغل بأشياء مختلفة يُصيِّر صاحبها لا ترتيب له ولا نظام. وأما طول العمر؛ فلأنه إذا كان علاج الأبدان –كما قال أبقراط– يزيد طول العمر، فكم بالحري علاج النفس"[(١)].

---

(١) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، الفارابي، رسالة "ما ينبغي أن يُقدَّم قبل تعلم الفلسفة"، مرجع سابق، ص٢٤٢، ٢٤٣.





يضع الفارابي في هذا النص خلاصة فكره التربوي حول العملية التعليمية بعامة وتعليم الفلسفة بخاصة، فيدل على آداب المعلم والمتعلم والعلاقة بينهما، وآداب العملية التعليمية؛ بحيث لا يكون التعليم مجرد نقل معلومات، بل تهذيب للنفس، وتنمية عقلية وأخلاقية عميقة، وكذلك تأكيد المثابرة على التعلم حتى بلوغ الغاية، وبيان ذلك على النحو الآتي:

١- صفات المتعلم (طالب الفلسفة):

يحدد الفارابي بوضوح الصفات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم طالب الفلسفة تحديدًا، ويؤكد هنا المدخل الأخلاقي والإصلاح النفسي كأساس للعملية التعليمية، فلابد لمتعلم الفلسفة أولًا أن يكون قد أصلح نفسه أخلاقيًّا ودأب على تهذيب قواها، بحيث تكون شهوته وتطلعاته موجَّهة نحو طلب الحق والحكمة، وليس نحو اللذات الحسية أو الرغبات الدنيوية.

كما يؤكد الفارابي المدخل المعرفي للعملية التعليمية أيضًا، بإشارته إلى أن المتعلم للفلسفة يجب أن يكون على درجة عالية من التأهل المعرفي وسلامة النفس الناطقة، التي هي القوة المسؤولة عن التفكير والتمييز بين الصواب والخطأ، ليتمكن من إدراك المعارف العلوية وتكون إرادته صحيحة، وإنما يكون ذلك بالتدرج في المعارف والتمرس في علم البرهان.

كما يؤكد الفارابي مسألة موضوعية طالب العلم، فيشير إلى ضرورة سعي المتعلم إلى إدراك الحق والتعلق به وحده، ولا يتأثر في سبيله بأية ميول عاطفية أو شخصية، فلا تكون محبته لأحد تدعوه لأن يختاره على الحق، أو أن يكون بغضه له يدعوه إلى تكذيب الحق، فالحقيقة هي الغاية القصوى، وليست أقوال الفلاسفة.

وهذا الموقف يوضح روح النقد الفلسفي عند الفارابي، الذي يرى أن الفيلسوف الحقيقي يجب أن يكون باحثًا عن الحقيقة، لا متعصبًا لشخص معين.





٢- صفات المعلِّم وأسلوبه التعليمي:

يدل الفارابي في كلامه أيضًا على صفات المعلم وآدابه وأسلوبه التعليمي، وهو مدخل معرفي اجتماعي في العملية التعليمية وتفاعليتها، فهو يؤكد ضرورة أن يتحلى المعلم بالتوازن في أسلوبه التعليمي وفي تعامله مع المتعلمين، فلا يكون شديد التسلط عليهم، ولا مفرط التواضع معهم؛ لأن الأول يدعو التلاميذ إلى بغضه، والثاني إلى الاستخفاف به وبعلمه والتكاسل عنه؛ وبالتالي يفقد الاحترام المطلوب لعملية التعليم.

٣- أهمية المثابرة والتركيز في طلب العلم:

يؤكد الفارابي أيضًا ركنًا مهمًّا في العملية التعليمية وأدب من أهم آدابها، وهو المثابرة في طلب العلم حتى بلوغ الغاية، فالتعلم يحتاج إلى جهد مستمر، وصبر طويل، مثلما يثقب قطر الماء الحجر بالتكرار والدوام، فإن التحصيل العلمي يحتاج إلى استمرارية وجدية للوصول إلى النتائج المرجوة.

وكذلك يشير إلى ضرورة التركيز في طلب العلم، وترك التشاغل بأمور جانبية تؤدي إلى تشتيت انتباه الطالب وإفقاده للتنظيم والترتيب المعرفي، فالتنظيم والترتيب العقلي ضروريان في عملية التعلم.

٤- أهمية المعرفة لسلامة النفس وطول العمر:

يشير الفارابي أيضًا إلى ضرورة المداومة على التعلم وتحصيل الفلسفة؛ لما له من أثر في علاج النفوس وسلامتها، فمثلما يؤدي الطب إلى سلامة الإنسان من خلال العناية بالجسد، فإن الفلسفة تؤدي إلى إطالة العمر الروحي والعقلي من خلال علاج النفس، فإن علاج النفس عن طريق الفلسفة لا يقل أهمية عن علاج الجسد، فالفلسفة هي طريق الإنسان للوصول إلى الكمال العقلي والأخلاقي.

وبذلك فإن هذه الشروط التي وضعها الفارابي وفصَّل بيانها لتعلم الفلسفة لتنبئ عن الأسس الفلسفية للنظرية التعليمية بعامة لديه، وتجتمع عناصرها في تحقيق هذه الغاية الشريفة من تحصيل الفلسفة، التي هي جماع المعارف الإنسانية، وسبيل تحصيل الكمال





الإنساني والسعادة التامة، فتقوم على مبدأ أخلاقي في تهذيب النفوس وتحصيل فضائلها العملية تدرجًا لتحصيل كمالها النظري، وعلى مبدأ معرفي في التدرج في المعرفة وتصنيف العلوم والبدء بالعلوم الضرورية قبل تعلم الفلسفة، وكذلك الأساس الاجتماعي في طريقة التأديب والحاجة إلى المعلم والتعليم التفاعلي تحصيلًا لهذا العلم الشريف، وما يلزم عن وجود المجتمع المدني الفاضل من ضرورة وجود الفيلسوف الذي يكون هو رئيسه الأول، وتتحقق بوجوده السعادة المدنية.

وبذلك تكون العملية التعليمية في فلسفة الفارابي كُلًّا مترابطًا، تجتمع فيها عناصر تهذيب النفس والتربية الأخلاقية كشرط أساس لعملية التعليم، ومن ثم تراتبية المعارف والعلوم والتدرج فيها، ثم بيان أساليب التعليم ومنهجيته التفاعلية، وإصلاح المجتمع والواقع العملي، في ترابطية وثيقة بين التفلسف النظري وكمال العرفان، وبين الإصلاح الأخلاقي والسلوك العملي؛ ولذلك وضع الفارابي خلاصة فكره الفلسفي في رسائله المدنية مثل: (التنبيه على سبيل السعادة)، و(السياسة المدنية)، و(آراء أهل المدينة الفاضلة)، التي خطَّ فيها معلمًا بارزًا لصورة المجتمع الفاضل.

تعقيب:

يتضح جليًّا من خلال العرض لرؤية الفارابي للعملية التعليمية ومنهجية التعليم والتلقي، وخصوصية التعليم الفلسفي فيها، كيف تأسست هذه العملية لديه على عناصر فلسفته في النفس والمعرفة والاجتماع بعامة، وقيامها ركنًا رئيسًا في النظرية التعليمية للفلسفة الإسلامية.

وقد استقرَّت هذه الرؤية الفلسفية للعملية التعليمية في المدرسة المشائية من بعد الفارابي، فتجلَّت وضحة لدى **مسكويه** (ت: ٤٢١هـ)، فكان مفتتح العملية التعليمية لديه والسبيل الأول لتحصيل العلوم والمعارف هو التأديب والإصلاح النفسي؛ فهو لذلك يوجه الآباء منذ البداية إلى تعويد أبنائهم على الأخلاق الحسنة وتهذيب نفوسهم بالآداب الشرعية، ثم ينتقلون منها إلى تعليم مبادئ العلوم ثم العلوم العقلية والطبيعية والإلهية،





فيقول مسكويه: "فمن اتفق له في الصبا أن يربي على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها، ثم يتدرج حتى يبلغ إلى أقصى مرتبة الإنسان؛ فهو السعيد الكامل"(١).

واستقرت دعائمها أيضًا في فلسفة **ابن سينا** (ت: ٤٢٨هـ) التربوية والتعليمية، فالعملية التعليمية لديه قائمة في مبدئها على جانب التأديب الخلقي والتربية النفسية حتى يتهيأ النشء بالإصلاح الخلقي والاستعداد الفطري لقبول المعارف والعلوم، ثم يأخذ بيد النشء في مناهج التعليم تدريجيًّا منذ تهيُّئهم للتلقين(٢).

فهذا أصل في العملية التعليمية أن تبدأ برياضة الأخلاق وتهذيب النفوس، ثم تأتي بعد ذلك العملية التعليمية متدرجة فيؤخذ الناشئة في بدايتهم بتعليم اللغة والقرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والمقاطع الشعرية التي تحس على الآداب ومحاسن الأخلاق(٣)، فكل ذلك يأتي مقدمة لتحصيل العلوم والمعارف عند ابن سينا، فيكون الاهتمام الأول على الجانب التربوي والأخلاقي لدى الطفل، ولذلك أيضًا فهو ينبه على ضرورة أن يكون مؤدب الأطفال "عَاقِلًا ذَا دين بَصيرًا برياضة الأَخْلَاق حاذقا بتخريج الصّبيان وقورًا رزينًا بَعيدًا من الخفة والسخف قَلِيل التبذل والاسترسال بِحَضْرَة الصَّبِي غير كز وَلَا جامد بل حلوًا لبيبًا ذَا مروءة ونظافة ونزاهة"(٤).

فإذا فارق المتعلم مرحلة الصبا، واكتملت أخلاقه وحصل مبادئ العلوم، فيكون مهيئًا بذلك لتلقي العلوم العقلية والطبيعية، وينتقل منها للعلوم الإلهية، وفق تصنيفه للعلوم بين

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة»، ابن سينا، مرجع سابق، ص١٠١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٠٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٢.





النظرية والعملية[١] وتراتبيتها[٢].

وهكذا فقد عبرت العملية التعليمية لدى فلاسفة الإسلام عن نظريتهم في التعليم وقيامها على مبدأ نفسي أخلاقي بالأساس، فكان المبدأ التربوي والأخلاقي هو أساس أوَّليٌّ لعملية التعليم ومدخل لها، ثم تتأتى عملية التعليم بنقل المعارف والعلوم من المعلم إلى المتعلم بطرق متعددة من السماع والتلقين والاحتذاء؛ وهو التعليم التفاعلي بنقل العلم وتحصيل براهينه وإقناعه في نفس المتعلم، ويكون ذلك وفق منهج تدُّرجي ينتقل من العلوم الضرورية التي تشهد بها الحواس، ثم العلوم العقلية والتجريبية، ثم العلوم التجريدية الإلهية، وهي كمال العلوم النظرية، فإذا تحصَّل للإنسان هذا التكامل المعرفي فقد بلغ غاية كماله الوجودي، وسعادته التامة، ويتحصل عنه وظيفة اجتماعية ضرورية في إصلاح المجتمع، وسياسته على أكمل وجه بهذا الكمال المعرفي، فتتحصل بوجود هذا الإنسان الفاضل والفيلسوف الكامل تمام السعادة المدنية.

---

(١) انظر: تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ابن سينا، (الرسالة الخامسة: في أقسام العلوم العقلية)، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٠٥: ١١٨.

(٢) انظر: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، ابن سينا، تحقيق: د. ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ، ص١٠٩، ١١٠.





الخاتمة

عرض هذا البحث للأسس الفلسفية التي تقوم عليها النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، متخذًا من فلسفة **أبي نصر الفارابي** نموذجًا لها، وقد خلص إلى أنَّ الفارابي قدَّم من خلال مشروعه الفلسفي تصورًا متكاملًا للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية، يقوم على أسس فلسفية أصيلة في **النفس والأخلاق والمعرفة والاجتماع والسياسة**؛ فالتعليم عنده ليس مجرد وسيلة لاكتساب العلم، بل هو منهج شامل لتحقيق الكمال الإنساني وبلوغ السعادة القصوى.

أولاً: أهم النتائج:

أمكن من خلال هذا البحث استخلاص مجموعة من النتائج التي تُمثِّل الأسس الفلسفية لهذه النظرية التعليمية وتبرز ملامحها، وذلك كما يأتي:

– تبيَّن أن **الأسس الفلسفية** التي تقوم عليها النظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية كما دلَّ عليها الفارابي، تتمثل في ثلاثة محاور مترابطة:

أولها: الأساس الأخلاقي، الذي يجعل تهذيب النفس شرطًا في تلقي المعرفة؛ لأن العلم لا يتحقق إلا في نفس متخلقة بالفضيلة، تسعى إلى الحق والخير لا إلى اللذة والمنفعة.

وثانيها: الأساس المعرفي، القائم على مبدأ تصنيف العلوم والتدرج في التعلم وتراتبية العلوم من المحسوس إلى المجرد، ومن الطبيعي إلى الإلهي، ومن الجزئي إلى الكلي؛ حث يتحقق التعلم عبر ثلاث مراحل مترابطة: الفهم، ثم التصديق، ثم الحفظ، ولكلِّ مرحلة أدواتها وأساليبها، بما يضمن تكامل العقل النظري والعملي.

وثالثها: الأساس الاجتماعي، الذي يؤكد أن التعليم عملية تفاعلية بين المعلم والمتعلم، تهدف إلى بناء الإنسان الفاضل والمجتمع الفاضل معًا، وأن الفيلسوف المعلِّم يمثل القدوة التي يُحتذى بها في تهذيب الأفراد وإصلاح الجماعة، والمتعلم شريك فاعل في الفهم والاكتشاف.





- أن الفارابي جعل من تهذيب النفس وإصلاح أخلاقها مقدّمة ضرورية لاكتساب العلوم والمعارف؛ فبتمام تزكيتها تتهيأ القوة الناطقة لإدراك الحقائق وتحقيق كمالها النظري والعملي؛ ومن ثمّ تبدأ العملية التعليمية من مدخلٍ أخلاقي، بتربية الناشئة على الفضائل ليقوى فكرهم ويصفو إدراكهم لقبول العلم.

- أن الغاية التعليمية كانت حاضرة بوضوح في محاولة الفارابي الفلسفية لإحصاء العلوم وتصنيفها؛ وقد تمثَّلت هذه الغاية في بلوغ الهدف الكلي من الفلسفة الفارابية، وهو تحقيق الكمال الإنساني، وتنمية الفضائل العقلية والأخلاقية، وتوجيه الفرد نحو السعادة في المجتمع الفاضل.

- مثَّلت العملية التعليمية في فلسفة الفارابي بناء مترابطًا، تجتمع فيه عناصر تهذيب النفس والتربية الأخلاقية كشرط أساس لعملية التعليم، ومن ثم تراتبية المعارف والعلوم والتدرج فيها، ثم بيان أساليب التعليم ومنهجيته التفاعلية في تلقي هذه العلوم، في ترابطية وثيقة بين التفلسف النظري وكمال العرفان، وبين الإصلاح الأخلاقي والسلوك العملي.

- مثَّل منهج الفارابي في (تعليم الفلسفة) نموذجًا متكاملًا لتحقق الأسس الفلسفية للنظرية التعليمية بعامة، فتقوم على مبدأ أخلاقي في تهذيب النفوس وتحصيل فضائلها العملية تدرجًا لتحصيل كمالها النظري، وعلى مبدأ معرفي في تصنيف العلوم والتدرج في اكتسابها بالبدء بالعلوم الضرورية قبل تعلم الفلسفة، وكذلك الأساس الاجتماعي في طريقة التأديب والحاجة إلى المعلم والتعليم التفاعلي تحصيلًا لهذا العلم الشريف، وكذلك الدور الاجتماعي الذي يقوم به الفيلسوف من إقامة المجتمع الفاضل، وتتحقق بوجوده السعادة المدنية.

- الغاية من التعلم الفلسفي عند الفارابي ليست تحصيل المعلومات، بل الوصول إلى معرفة الخالق والتشبُّه به في جوده وعدله وحكمته بقدر طاقة الإنسان، فالمعرفة غايتها روحية وأخلاقية، والتعليم طريق إلى الكمال والسعادة الإنسانية.

- التعليم عند الفارابي مشروع حضاري يسعى لبناء المدينة الفاضلة، من خلال إعداد مواطنين فاضلين يقودهم الرئيس الفيلسوف الجامع بين العلم والخلق والسياسة.





ثانيًا: القيمة المعاصرة للنظرية التعليمية في الفلسفة الإسلامية:

يمكن الإفادة في واقعنا المعاصر من النظرية التعليمية للفلسفة الإسلامية، بما تقوم عليه من أسس فلسفية ومبادئ معرفية، وبخاصة في ضوء التحديات التربوية الراهنة – كأزمة القيم، وضعف الدافعية للتعلم، وانفصال المعرفة عن السلوك– وذلك من خلال:

١. إعادة الاعتبار إلى البعد الأخلاقي والروحي للتعليم، والعلاقة التكاملية بين المعرفة والقيم في بناء الشخصية؛ بحيث يكون التهذيب جزءًا أصيلًا من أهداف العملية التعليمية.

٢. تطوير المناهج التعليمية لتراعي التدرج المنطقي في المعرفة، من الملاحظة الحسية إلى التفكير البرهاني، على نحو يربط بين مراحل التعليم ومكونات العقل الإنساني.

٣. تعزيز المنهج التفاعلي الحواري في التعليم، الذي يجعل المتعلم مشاركًا فاعلًا لا متلقيًا سلبيًّا، وإعادة تعريف دور المعلم بوصفه قدوة فكرية وأخلاقية، لا مجرد ناقل للمعلومات.

٤. ترسيخ الفكر الغائي في التعليم، الذي يربط العلم بالعمل وبناء الإنسان والمجتمع الفاضل.

ثالثًا: التوصيات البحثية:

انطلاقًا من النتائج السابقة، يمكن تقديم بعض التوصيات البحثية كالآتي:

١. ضرورة تشجيع الدراسات المقارنة بين الفلسفة الإسلامية ونظريات التعليم الغربية الحديثة، لاستكشاف نقاط الالتقاء في بناء الإنسان وتكامل العقل والأخلاق.

٢. اعتماد فكر الفارابي كنموذج تربوي في تطوير مناهج فلسفة التربية في الجامعات العربية والإسلامية؛ لإبراز البعد الإنساني العقلاني في التعليم.

٣. تطوير برامج إعداد المعلمين على النموذج التفاعلي الأخلاقي الذي يجمع بين الكفاءة العلمية والقدوة التربوية والتفاعل الحواري، وفق تصور الفارابي والفلاسفة المسلمين.





٤. دعوة الباحثين إلى دراسة البعد الإنساني والروحي في الفلسفة التعليمية الإسلامية بوصفه مدخلًا لإصلاح التعليم المعاصر.

٥. تأسيس مراكز بحثية تعنى بربط التراث الفلسفي الإسلامي بالممارسات التربوية الحديثة في ضوء مقاصد التعليم الشامل.

وختامًا: يتبيَّن أن الفارابي قد وضع بفكره العميق أسسًا فلسفية خالدة للنظرية التعليمية في الفكر الإسلامي، وأن مشروعه التعليمي يجسد رؤية فلسفية إنسانية متكاملة، تجعل من التعليم سبيلًا لتحقيق الغاية العليا للوجود الإنساني، وهي السعادة المقترنة بالكمال العقلي والأخلاقي؛ مما يجعل مشروعه التربوي جديرًا بالاستلهام في بناء رؤية تعليمية معاصرة تؤصل التكامل بين العقل والأخلاق والوجود، وتعيد للعلم رسالته في تحقيق السعادة الإنسانية الشاملة.





المصادر والمراجع

أولاً: كتب الفارابي:

١. إحصاء العلوم، تحقيق: د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.
٢. آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: د. ألبير نصري نادر، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٣. تحصيل السعادة، تحقيق: د. علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٤. الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، تحقيق: د. عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٢١م.
٥. رسالة التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق: د. سحبان خليفات، الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٧م.
٦. رسالة السياسة (ضمن مجموع في السياسة)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، د.ت.
٧. الرسائل الفلسفية الصغرى، تحقيق: د. عبد الأمير الأعسم، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
٨. السياسة المدنية، تحقيق: د. فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.
٩. فصول منتزعة، تحقيق: د. فوزي متري نجار، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
١٠. كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
١١. كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
١٢. المنطق عند الفارابي (كتاب البرهان)، تحقيق: ماجد فخري، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٧م.

ثانيًا: مصادر الفلاسفة المسلمين:

١. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢. ابن باجة، رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق: د. ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.





٣. ابن باجة، رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٣م.

٤. البطليوسي، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٥. ابن رشد، الضروري في السياسة، تعريب: د. أحمد شحلان، تحقيق: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦. ابن رشد، الضروري في النحو، تحقيق: د. منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٧. ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

٨. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.

٩. ابن سينا، النفس من كتاب الشفاء، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مؤسسة بستان كتاب، قم، ط٥، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

١٠. ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م.

١١. ابن سينا، رسالة في السياسة (ضمن مجموع في السياسة)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

١٢. ابن سينا، كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، تحقيق: د. ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٣. ابن طفيل، فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

١٤. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م/١٣٩٨هـ.

١٥. الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٠م.

ثالثًا: دراسات عامة ومراجع حديثة:

١. إبراهيم بيومي مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

٢. إبراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية: نموذج الفارابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

٣. أحمد عبد الحليم عطية، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م.

٤. أحمد فؤاد الأهواني، التعليم في رأي القابسي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٥م.

٥. ألبير نصري نادر، النفس البشرية عند ابن سينا، دار المشرق، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م.

٦. أمل عبد المنعم عبد الفتاح بسيوني، النفس عند الفارابي: دراسة تحليلية، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر – الزقازيق، المجلد ٣٣، العدد ٢، ٢٠٢١م.

٧. أمير دزيري، مراتب العلوم: حول تصنيف العلوم في تاريخ الفكر الإسلامي، ترجمة: محمد فتوح، مركز نهوض للدراسات والبحوث، الكويت، ٢٠٢٣م.

٨. تشارلز بتروورث، الفلسفة الأخلاقية والسياسية، ترجمة: د. أشرف منصور، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوليو ٢٠٢٤م.

٩. جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

١٠. حامد طاهر، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ٩، ١٩٩١م.

١١. ديفيد رايزمان، الفارابي والتعليم الفلسفي، ترجمة: د. أشرف منصور، مؤمنون بلا حدود، أكتوبر ٢٠٢٣م.

١٢. سيبستيان غونتر، آراء العلماء المسلمين القدماء في نظرية التربية، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد ٥١، شتاء ٢٠١٦م.

١٣. شفيعة بليلي، منهج تعليم الفلسفة في رأي الفارابي، مجلة حوليات جامعة الجزائر ١، العدد ٣١، ج٤، ٢٠١٧م.





١٤. محمد الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي(، دار سحنون، تونس، ودار السلام، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

١٥. محمد صادق بوعلاق، العلوم الإسلامية: مبادئها وتصنيفها، ضمن: مناهج العلوم الإسلامية، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف، ط١، ٢٠٢٣م.

١٦. محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

١٧. محمود قاسم، النفس والعقل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٢م.

١٨. مرزوق الأسمري، تصنيف العلوم عند المسلمين، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، السنة ٩، العدد ١٦، ٢٠١٢م.

١٩. مصطفى عبد الرازق، فيلسوف العرب والمعلم الثاني، شرح وتعليق: د. مصطفى النشار، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٩م.

٢٠. مصطفى ناصف، نظريات التعلم: دراسة مقارنة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣م.

21. Reisman, David C., “Al-Farabi and the Philosophical Curriculum,” in The Cambridge Companion to Arabic Philosophy, ed. Peter Adamson & Richard C. Taylor, Cambridge University Press, 2005.



